الحـرب الصليبيـة

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمْ

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيـــد

أجل : إنها حرب صـيبية : ولاريب فى ذلك :

بالرغم من أن العالمين العربى والإسلامى بكل مؤسساتهما استنكرا التفجيرات إلا أن واشنطن لم تلق بالا لذلك ، فالحرب الصليبية لم تتوقف ، وإن ظلت عسكرية وسياسية واقتصادية فى شئ من الاتزان ، وكانت أحداث الثلاثاء الأسود فرصة لإعلانها عسكريا بدون تردد .

فى كلمة عدد المشاهد السابق :

« الخطر الأكبر هو أن يتحول الغيظ الأمريكى إلى حرب شاملة عسكرية ومن نوع آخر ضد العالم الإسلامى » * .

يقول الأكاديمى العربى إدوارد سعيد المقيم فى الولايات المتحدة :

« إن الشعب الأمريكى يجهل جهلا كبيراً المستوى الذى وصل إليه تأييد الحكومة الأمريكية للدولة العبرية ، والغضب المنتشر فى العالم العربى بسبب هذه السياسية ، ومن المؤسف أن تفجيرات نيويورك وواشنطن ستزيد من التحامل والتحريض من جانب الشعب الأمريكى إزاء العرب والمسلمين مما سيعزز وصمهما بالمتطرفين والمتعصبين الخطرين .

ونقول نحن :

فى عام ١٩٤١ ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ شنت اليابان هجوما خاطفا على قاعدة بيرل هاربور الأمريكية فى جزر هاواى ، وبعد أربع سنوات انتقمت أمريكا من اليابان بإلقاء قنبلتين ذريتين فى عام ٩٤٥ على هيروشيما ونجازاكى اليعانيتين وعلى العكس . فإن الولايات المتحدة قررت الانتقام للثلاثاء الأسود بعد أقل من أربعة أسابيع مع ملاحظة أن تدمير قاعدتها فى بيرل هاربور كان الفاعل واضحا للعيان ولم يكن الأمر يحتمل أى تفكير فى الحقيقة ، بينما كان الفاعل فى أحداث الثلاثاء الأسود مجهولاً تماماً ، وهذا يؤكد أن الحرب الصليبية كانت الغاية وأن أحداث

---

* بعد صدور العدد بأسبوعين بدأت الحرب الشاملة ضد العالم الإسلامى .

الثلاثاء المشئوم كانت المبرر بلاعقل ، وبلا منطق وبلا تفكير !

ولكن من الواضح الجلى أن عقدة فيتنام ، مازالت تتفاعل فى عقول الأمريكان وصدورهم ، حيث انسحبت أمريكا من الحرب مذمومة مدحورة ، وبرغم أن المأساة مضى عليها ربع قرن أو تزيد ، إلا أن العقدة ما تزال بخير ، ولعل واشنطن رأت فى حرب صليبية شاملة واثقة من النصر ـ مما يخفف ـ ولا يزيل ـ من عقدة فيتنام .

وفى التحقيق الذى كتبه محرر الشئون الاستراتيجية « المشاهد السياسى » السابق .

وللمرة الأولى : تحدث المسئولون الأمريكيون عن الحاجة إلى شن حرب منهجية وشاملة ضد ماوصفوه بـ « تهديد الإرهاب العالمى » والقوى والأطراف المتورطة فى دعمه وتنفيذه ، محذرين فى الوقت ذاته من أن حربا كهذه ، لابد أن تكون مكلفة ومؤلمة وطويلة الأبد ، وهذه هى ـ بالفعل ـ المناسبة الأولى من نوعها ـ على الأقل ـ منذ الحرب الفيتنامية فى الستينات والسبعينات التى يجرؤ فيها أركان الإدارة الأمريكية على التحدث عن حاجة الولايات المتحدة إلى شن حرب « طويلة وشاملة ومكلفة » فحتى الماضى القريب كانت مثل هذه التعبيرات بعيدة جدا عن وارد الرأى العام الأمريكى أو تفكيره ، حيث كان أى تورط عسكرى أمريكى خارجى ، محتمل أو مفترض ، ينطلق أولا وأخيراً من ضرورة مراعاة أولويات ذلك الرأى العام المتمثلة فى الحاجة إلى تجنب الخسائر البشرية ، والحرص على التقليل ما أمكن من الفترة الزمنية التى قد يستغرقها أى تحرك عسكرى أمريكى خارج الولايات المتحدة .

ويشير تحقيق المشاهد السياسى إلى أنه إثر وقوع الحوادث مباشرة أعلنت حالة الطوارئ فى الولايات المتحدة ، وفى قواعدها العسكرية خارج الحدود بطريقة ملفتة للنظر ، وكأنما تمهد واشنطن لإعلان حرب شاملة صليبية على العرب والمسلمين ، وعززت واشنطن الانطباع لدى الرأى العام الذى مؤداه أن الشبهة فى تنفيذ الهجمات الانتحارية ، وقعت بصورة محددة على الجماعات الإسلامية الأصولية ، وبالذات على تنظيم القاعدة » الذى

يتزعمه المنشق السعودى ـ الشيخ أسامة بن لادن والمجموعات الإسلامية الراديكالية والسلفية المتشددة المتحالفة معه .

وعلى الرغم من الشكوك الأولية التى أحاطت بالعمليات الانتحارية وبهوية المسئولية عنها فى المراحل الأولى التى أعقبت حدوثها ، فإن تركيز الاهتمام على الجماعات الإسلامية ،وعلى العنصر العربى المتورط فيها ، لم يستغرق فترة طويلة ، قبل أن يبرز على السطح ـ لاسيما فى ضوء التحقيقات الأولية التى أجرتها الأجهزة الأمنية الأمريكية والغربية ، وأسفرت بسرعة عن تحديد أسماء وهواية العناصر التى ساهمت فى تنفيذ تلك العمليات أو التخطيط والإعداد لها ..

ولأن الولايات المتحدة زكم أنفها الغرور ، وتعتبر القوة والغطرسة ولاتعتبر القانون الدولى أو الأعراف الدولية ولامنطق العقل . يقول التحقيق :

ومع أن الولايات المتحدة لم تعمد حتى الآن ـ على الأقل ـ إلى توجيه أى اتهامات رسمية إلى أى طرف من الأطراف على صعيد تحميله المسئولية القانونية والقضائية فى تنفيذ الهجمات الانتحارية .. فإن تصريحات المسئولين الأمريكيين ذهبت بمجملها إلى حد الإعلان رسميا ، وبدون أى تخفظات بأن المتهم الأولى والأساسى فى هذه العمليات ، هو بن لادن والمجموعات العاملة فى إطار تنظيمه ، أو تلك الدائرة فى فلكه !

وأجل مرارا وتكرارا : إنها حرب صليبية .

فى عدد « المشاهد السياسى » الصادر فى ١٤ / ١٠ . صرح وزير الإعلام اللبنانى غازى العريضى أن الولايات المتحدة ، عندما قصفت أفغانستان (الأحد ٧ / ١٠) وضعت العالم الإسلامى والعربى أمام الأمر الواقع ، مما قد يتسبب بردود فعل معادية يصعب السيطرة عليها .

وقال العريضى فى حديث لمحطة تليفزيون المستقبل الفضائية :

تعمدت واشنطن عن سابق تصور وتصميم أن تبدأ عملياتها قبل ٤٨ ساعة من انعقاد مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى (فى قطر) وقبل اجتماع

مقرر للجامعة العربية ، لنضع ـ قصدا ـ العالمين : الإسلامى والعربى أمام الأمر الواقع ، ويبدو واضحا أن الهجمات أصابت ساسة الغرب بلوثة النزعة الصليبية فاجتروا أحقادها فى تصريحاتهم المعادية للإسلام ، وقد عرضنا لوقاحة رئيس وزراء إيطاليا وغيره ، ولم يكن عجيبا أن تجتر مارجريت تاتشر بعض رواسب أحقادها على الإسلام ، والتى أصبحت تعيش فى الظل بعد أن كانت رئيسة وزراء بريطانيا وملء السمع والبصر ، وفى حاجة اليوم إلى شئ من الأضواء .

كما يبدو أن تصريحها إزاء أحداث الثلاثاء الأسود ـ إلى صحيفة ـ «تايمز» تجاوز كل حدود الصفاقة مما دعا بريطانيا بحزبيها الرئيسين تتبرأ من تصريحاتها كما ذكرت « المشاهد السياسى » إلى درجة أن قيادة حزب المحافظين الذى تزعمته تاتشر لأكثر من ١٢ عاما تبرأت من تصريحاتها ، وقالت متحدثة باسم الحزب : إن تاتشر لاتعبر عن قيادة المحافظين ، فللحزب من يتحدث باسمه .. وقال مايكل هازلتاين نائب رئيس الوزراء السابق : «إن لسانه يعجز عن التعبير عن مدى الفزع الذى شعربه لدى سماعه تصريحات تاتشر » وأضاف : « إن تلك التصريحات تشجع على اقتراف الجرائم العنصرية .

● **وتضيف « المشاهد السياسى »**

« وأثارت تاتشر التى عرف عنها أنها أول من رفع لواء التحذير من احتمال تعرض الحضارة الغربية لخطر ما حق قادم من الشرق ، وكان ذلك فى عام ١٩٦٦ عندما طالبت بإعادة النظر فى النظام الدفاعى الصاروخى «حرب النجوم» وتحديثه لمواجهة هجوم محتمل من حضارات منافسة أقل تحضرا ـ أثارت جدلا حادا عندما انتقدت بشدة المسئولين المسلمين الذين لم يدينوا ـ بشكل كاف ـ اعتداءات الحادى عشر من أيلول ، وقالت تاتشر لصحيفة «تايمز » إن الناس الذين دمروا هذين البرجين ـ فى مركز التجارة العالمى ـ كانوا مسلمين وعلى المسلمين أن يقفوا ويقولوا : إن ذلك ليس هو الإسلام» ! !

ويبدو أن المرأة الحديدية ماتزال تتحدث بلسان بريطانيا العظمى سابقا ، متجاهلة أن الإمبراطورية العظمى (سابقا) لم تعد حتى (صغرى) بعد أن تحولت إلى تابع لواشنطن ،وذيلالها بلا أدنى اعتبار لوجودها !

ولست أدرى لماذا يرفض البعض فكرة الحرب الصليبية ، برغم أن الغرب الصليبى على لسان قادته يتشدق بها ولن يكون آخرهم الرئيس الأمريكى بوش الذى صرح بأنه سيقود حربا صليبية ؟؟

فى « الأسبوع » (١٢ / ١١ / ٢٠٠١م) مقال للأستاذ يوسف الشريف ، تحت عنوان : مصداقية أمريكا لبن لادن أشار فيه : إلى أنه برغم الجهود الدبلوماسية والإعلامية والفكرية التى تبذلها أمريكا وأوربا لنفى الحرب الصليبية عن الحرب ضد أفغانستان تحسبا لما قد يتوالى أعقابها من عمليات ضد العراق وغيرها من الدول ، ومنظمات المقاومة العربية والإسلامية بدعوى استئصال الإرهاب ، وبرغم مبادرة البعض من مفكرينا وكتابنا إلى تفسير آخر يرى أن الصراع لاعلاقة له بالدين ، وإنما بين مصالح الدول المتقدمة على حساب الدول المتخلفة إلا أن هذا النفى أو هذا التفسير لم يجد أيهما فى إقناع الشعوب العربية والإسلامية .

وأضاف : ومما لاشك فيه أن العرب والمسلمين لاناقة لهم ولاجمل فى خوض حرب دينية فى مواجهة أمريكا وأوربا ، كما أن العكس فى المقابل صحيح مافى ذلك شك .. وبدعوى الاشتباه فى ضلوع ليبيا فى تفجير منتدى ليلى فى برلين عام ٩٨٦م ثم ثبت فيما بعد براءه ليبيا على غرار اعتذار أمريكا عن قصف مصنع الشفاء للأدوية فى السودان بعد ثبوت براءته من إنتاج مواد كيمائية حربية محرمة دوليا .. وليس حادث أوكلاهوما ببعيد .

وإلا : كيف يفسر العرب والمسلمون مالحق بهم فى أمريكا وأوربا دون غيرهم من مظاهر الجو والكراهية والملاحقات الأمنية وإلى حد الاغتيال وتدمير مساجدهم ومصادرة العديد من منظماتهم الاجتماعية ، والسياسية والثقافية وغيرها » .

ونقول نحن :

أليس ما فعلته وتفعله أمريكا أشرس لون من ألوان العربدة ؟ ألسنا ساذجين حين نطلب من الولايات المتحدة أن تتدخل لتضع حدا لعربدة إسرائيل فى المنطقة المحدودة ، وهى التى تمارس العربدة فى شتى بقاع العالم؟ وبخاصة فى المناطق العربية الإسلامية ، التى تمارس فيها حربا صليبية شرسة ، سرية حينا ، علنية حينا آخر وإعلامية تنال من الإسلام . بموازرة الإعلام الأوربى .

إن لأمريكا قواعد عسكرية فى الخليج ، وفى طريقها إلى زرع قواعد عسكرية فى أفغانستان لتهيمن على منطقة مكتظة بالإسلام : الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا ، وإيران وباكستان ،وقد يكون البترول هدفا ، ولكنه ليس فى المقام الأول ، بل محاصرة الإسلام والتربص بصحوته .

ومما يؤسف له أن هناك بلهاء يشكّون فى أن أمريكا قد أعلنتها حربا صليبية جديدة ، ويعتبرون تصريح الرئيس بوش بذلك زلة لسان لا أكثر ، وإنه لم يكن يعنى ما يقول !

وتسألهم رأيهم فيما كتبه الأستاذ محمود بكرى فى « الأسبوع» (٥ ١١ / ٢٠٠١م) تحت عنوان « خطة مشتركة : أمريكا مع إسرائيل للسطو على القنبلة النووية الإسلامية فى باكستان .

تستهدف هذه الخطة المشتركة بين واشنطن وربيبتها تل أبيب ، السطو على ٢٤ رأسا نوويا تمتلكها باكستان ، حيث شهدت الأونة الأخيرة تدريبات بين وحدات خاصة أمريكية وإسرائيلية فى الأراضى الهندية لتحقيق هذا الهدف .

وحسب المعلومات ـ فقد أوفد الرئيس الصهيونى شارون ـ منذ بداية الأزمة ـ نحو ١٥ مبعوثا سياسيا وعسكريا إلى الإدارة الأمريكية حيث حملهم رسالة وحيدة تقضى بانتهاز الفرصة الراهنة لتجريد باكستان من سلاحها النووى ، تحت اعتبار أن السلاح النووى يشكل تهديدا مباشرا لأمن إسرائيل والولايات المتحدة .

وأشارت رسالة شارون إلى أن أكثر من ٥٣٪ من ضباط الجيش الباكستانى وجنوده ، هم من المتشددين دينيا ، ويرفضون تأييد قيادتهم للولايات المتحدة فى حربها ضد أفغانستان ـ الأمر الذى يتطلب سرعة التخلص من الأسلحة النووية ، مع تزايد احتمالات التهديد بها فى وجه أمريكا وإسرائيل ، وهو التهديد الذى قد ينتقل إلى مرحلة أعمال فعلية واعتداءات على الولايات المتحدة ذاتها بهذه الأسلحة ، بل إن المتشددين الباكستانيين يفكرون فى نقل الصراع بالأسلحة النووية خارج أراضيهم مما يعنى أن القطع العسكرية الأمريكية فى البحار والمحيطات ستكون معرضة للضرب والهجوم .

وتضيف نحن :

إن باكستان بقيادة اجنرال مشرف الذى اغتصب الحكم ، قدمت نفسها ـ بعد أحداث الثلاثاء الأسود ـ تابعا ذليلا لواشنطن ، وهى موقنة أن واشنطن تحمل نفسا خبيثة جامحة ، لامانع لديها فى ظل مصالحها أن تسيئ إلى من أحسن إليها ويوم أن تنقلب واشنطن على حلفائها الأذلة تبرز الحكمة العادلة القائلة :

« من أعان ظالما سلّط عليه »

وفى نفس العدد من « الأسبوع » تحقيق بقلم الأستاذ مصطفى بكرى :

« تقرير خطير للبنتاجون ، يستثنى إسرائيل ، ويحرض مجددا ضد العرب والمسلمين »

« بعد الإرهاب انتظروا حملة جديدة تحت زعم امتلاك أسلحة الدمار الشامل »

يقول الكاتب :

من الواضح أن حملة واشنطن « المقدسة » ضدما تسميه بـ « الإرهاب » لن تتوقف عند محطة بعينها ، ولن تكون أفغانستان هى الحلقة الأخيرة فى مسلسلة الرعب الأمريكى ، بل إن كل المعلومات الواردة من البيت الأبيض

تشير إلى أن الحملة سوف تتخذ أبعادا مما هو مطروح ، وأن الولايات المتحدة قررت أن تجعل من نفسها الخصم والحكم والشرطى الذى يفصّل القوانين وفقا لمصالحه وأهدافه . وسوف تمتد الحملة الأمريكية لتشمل تحجيم القوة العسكرية لأية دولة تفكر أو تحاول أن تمتلك ـ ولو بعض أسلحة الدفاع عن نفسها ، بغض النظر عن كونها تأوى ما تسميه أمريكا بـ «الإرهاب » أم لا . . وواضح من التقرير أن المستهدف الأول دول عربية وإسلامية ، وبخاصة إيران وسوريا وليبيا والعراق ، باعتبار أن العالم العربى والعالم الإسلامى فى حال من الضعف والهوان بحيث يعجز عن المقاومة ، ومن يدرى فلعل غير هذه الدول الأربع السالفة ، يتعاون مع أمريكا سياسيا وعسكريا ولسان حالها يقول : « أنا وبعدى الطوفان » ! !

* * *

ونضيف ونحن مطمئنون كل الاطمئنان !

إن الغرب الذى شن الحروب الصليبية فى القرون الوسطى لم يزل فى حرب صليبية حتى اليوم ، ولقد كان اللورد إللنبى ـ حين دنست قدماه أرض بيت المقدس فى الحرب العالمية الأولى يكذب ولايتجمل ، حين قال : « الآن انتهت الحروب الصليبية .

أليس مثيرا للدهشة أن رواسب الحقد الصليبى تعتمل فى نفسية ممثلة فرنسية طالما باعت جسدها لمن يملك الثمن ، إنها « بريجيت باردو » ممثلة الإغراء سابقا ، تحت عنوان : « إثارة الكراهية العرقية » أشارت « المشاهد السياسى » اللندنية فى عددها الصادر فى الحادى والعشرين من أكتوبر الماضى إلى أنه علم فى باريس أن قرار إدانة الممثلة الفرنسية « بريجيت باردو » بإثارة الكراهية العرقية الذى صدر ـ منذ أكثر من عام ـ بات نهائيا ، بعد أن رفضت أعلى سلطة قضائية جزائية فى فرنسا الطعن الذى قدمته ، وقد رفضت الغرفة الجزائية فى محكمة المنقض الثلاثاء قبل الماضى الطعن الذى قدمته (ب ، ب) فى حكم إدانتها الصادر فى ٩ مايو ٢٠٠١م الذى يلزمها بدفع غرامة قدها ثلاثون ألف فرنك لإثارة العنف والحقد العرقى »أما الحكم فقد كان نتيجة لنشر الممثلة فى كتاب « مربع بلوتون » الذى ألفته

ونشرفى أكتوبر ١٩٩٩م نصا بعنوان : « كتاب مفتوح إلى فرنسا التى فقدتها » انتقدت فيه كثرة عدد المهاجرين المسلمين إلى فرنسا ، وعادة ذبح الخراف فى عيد الأضحى ، وعدد المساجد المتزايد ، بينما تصمت أجراس الكنائس لقلة الكهنة »

وأقول :

إن ممثلة الإغراء السابقة ، أهون لدينا من أن نرد عليها ، فهى تثور لذبح الخراف لإطعام البائس والجائع والمحروم ، ولاتثور لسفك دماء الآدميين فى فلسطين على أيدى عصابة من الجزارين السفاحين لإشباع شهوة الحقد والتعصب العرقى ، كما لم تثر من قبل للمجازر البشرية فى البلقان على أيدى الصرب الخنازير ، ولا تثور لما يرتكبه الروس اليوم فى الشيشان .. ولسنا ندرى سببا لهجومها على الإسلام ، إلاكوا من الحقد الصليبى فى كل نفس غربية ، بالإضافة إلى أن ممثلة الإغراء ، عاودها الحنين إلى الأضواء التى أهملتها واعتبرتها من مخلفات بؤر الفساد .

ومن شرائح الحرب الصليبية ، التعصب الغربى للمسيحية فى الشرق الأدنى والأوسط والأقصى ، ففى عدد « المشاهد السياسى » اللندنية الصادر فى الحادى عشر من نوفمبر الماضى ، أن القائمة بأعمال السفارة الأمريكية فى بيروت قامت بجولات سرية على بعض المناطق اللبنانية حيث التقت عددا من النواب المسيحيين ، وناقشت معهم الوضع فى لبنان خلال مرحلة مابعد حرب أفغانستان ، وقد رافق المستشارة كارول كلين ـ مستشار سياسى أمريكى ـ يدون المعلومات ويحولها إلى تقارير ترفع إلى الإدارة الأمريكية ، لتحديد مواقف جديدة ، ومتانة علاقة لبنان مع حزب الله وسوريا وإيران .

وأقول :

إن كل الدلائل تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ـ على أن أحداث الثلاثاء المشئوم ، أعدلها وخطط الموساد الإسرائيلى والمخابرات المركزية الأمريكية بإتقان ، لتكون بداية حرب صليبية شاملة ، وأن حيثيات اتهام العرب والمسلمين ،كانت معدة ، بل وقرار العدوان على أفغانستان قبل أن يحدث ماحدث بفترة غير قصيرة .

لذا توقفت أمام كلمة موجزة فى نفس عدد المشاهد السياسى » تحت عنوان « الله ينجينا » من الديمقراطية مزدوجة المعايير » بقلم نبيل عبيد ـ لبنان ـ وهو يقول :

« يتساءل كثير من العرب والمسلمين عن صدق نية رئيس الوزراء البريطانى ـ تونى بلير الذى يقوم بزيارات متكررة إلى الشرق الأوسط ، وبلدان آسيا الإسلامية سعيا إلى استقطاب التأييد للمواقف الغربية فى حربها « ضد الإرهاب » ويتساءل كثيرون أيضاً :

لماذ لايدعو بلير إلى ضرب إيرلندا الشمالية ـ أو على الأقل ـ الجزء الكاثوليكى منها ؟ كما تعرضت بريطانيا لهجوم إرهابى يقوم به الجيش الجمهورى الإيرلندى (IRA) أو أحد فروعه الداعى إلى انضمام إيرلندا الشمالية إلى إيرلندا الجنوبية ؟ وقد وقع انفجار من هذا النوع مؤخرا فى مدينة برمنجهام البريطانية ، ويقال : إن إحدى المنظمات المنشقة عن الـ (IRA) هددت بالقيام بتفجيرات مقبلة فى مدن بريطانية أخرى .

ويضيف :

إن البلدان الوحيدة التى تقصف دولا ، أو سلطات ذاتية ـ لأن هذه الدول تضم مايسمى بالـ « إرهابيين » هى إسرائيل وحلفاؤها من دول الغرب المتحضرة ـ أى الولايات المتحدة وحلفاءها من الدول الأوربية .

ويتساءل الكاتب أخيرا فى أسى مرير :

إلى متى سنظل نضطر إلى القبول بهذا المنطق مزدوج المعايير ؟ إنهم يبيعوننا الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان ، ثم يقصفون دولاتضم الأطفال والنساء والبشر الأبرياء بحجة مكافحة الإرهاب ويقال : إنهم يتأهبون الآن لقصف العراق .. والله ينجينا من الآتى .. الأعظم » !

وأقول للأخ اللبنانى نبيل عبيد :

يا عزيزى : سيظل العالمان : العربى والإسلامى ـ الجدار المائل فى نظر الغرب ـ وفى المقدمة : أمريكا منتجة « الكاوبوى » مادامت هناك أنظمة

مستبدة تتحكم ولاتحكم ، يهمها فى المقام الأول الاطمئنان على كراسيها وهى مستعدة لأن تكون تابعا ذليلا لواشنطن وحتى تل أبيب ومونت كارلو من أجل الحفاظ على كراسيها ، ومادام هناك أيضاً ـ شعوب ارتدت رداء السلبية المطلقة لاشأن لها باتخاذ القرار لأنها رضيت بأن تعيش على هامش الحياة ، ضن أباطرتها عليها حتى بالجلوس على مقاعد المتفرجين !

* * *

من الواضح الجلى أن الحرب الصليبية هى فى مصلحة إسرائيل . وليس فى مصلحة الغرب وحده .. ومالم نعه ولا نعيه ولن نعيه ، والحقيقة التى لم نعها ولا ولن نعيها : أن الكفر ملة واحدة » وحسبنا ما كتبته « المشاهد السياسى » نفس العدد الذى بين أيدينا .

أمريكا أرسلت وزير خارجية كندا مبعوثالها إلى لبنان ويحمل رسالة تهديد ، وقدم جون مالينلى وزير الخارجية إلى الرئيس اللبنانى مشروعا أمريكيا كنديا لمكافحة لإرهاب الذى يمثله حزب الله فى الجنوب .

أرايتم أبشع من هذه لوقاحة الأمريكية التى تنتفح بها أوداجها حينما يكون هدفها دولة عربية أو إسلامية ، فالإرهاب لاينسب إلى المعتدى وإنما ينسب إلى المعتدى علبه ، لأن أمريكا تعتبر الدفاع المشروع عن النفس والأرض والعرض إرهاب ، وبذلك يتجاوز منطقها منطق شريعة الغاب وقطاع الطرق .

أما المشروع التهديدى الذى حمله الوزير الكندى ، باعتبار أن المشروع مشروع كندا وأمريكا معا ، فهو يتضمن نقاطا خمسا :

١) إن طبيعة عمل حزب الله العسكرى والأصلى ، يشكل أحد أنواع الإرهاب انطلاقا من قصف المستوطنات فى شمالى إسرائيل ، واستهدف المدنيين فى هذه المناطق .

٢) سحب حزب الله من الجنوب ، ونزع أسلحته الثقيلة والمتوسطة وصواريخ الكاتيوشيا منه ـ أى المدفعية بعيدة ومتوسطة المدى وتحويله إلى حزب سياسى عادى ، يتفاعل مع المعادلة السياسية اللبنانية .

٣) تفكيك كل أجهزة الحزب الأمنية والاستخبارية وإزالة المربعات فى ضاحية بيروت الجنوبية وإعادتها إلى سلطة الدولة .

٤) نشر الجيش اللبنانى في الجنوب ، وفرض القانون على الجميع بدون استثناء .

٥) إغلاق معسكرات التدريب التابعة لحزب الله فى بعلبك و البقاع ، وإنهاء دور حراس الثورة الإيرانية ، الموجودين فى هذه المعسكرات . . هذا وقد بلغت ـ لاالجرأة وحسب ـ بل الوقاحة كذلك بالوزير الكندى أن يقول للرئيس اللبنانى إميل لحود بلهجة التحذير والتهديد أن يقول فى صفافة :

« إذا لم يتم تنفيذ هذا المشروع ، فإن لبنان قد يشهد أياما صعبة ، بل يترتب عليها من مضاعفات أمنية وانعكاسات اقتصادية ـ خصوصا أن الولايات المتحدة وفرنسا ودول الاتحاد الأوربى قد ترفض انعقاد مؤتمر باريس ، وتمارس ضغوطا اقتصادية على الدولة اللبنانية »!!

ونحن نقول فى أسى مرير :

أليس هذا المشروع يُولّد فى أذهاننا أمورا ثلاثة ، كل واحد منها شر من أخويه »

أولا ـ أن واشنطن خلعت برقع الحياء لتكشف عن وجهها الحقيقى القبيح الذى أحدث قبحه أزمة فى القبح فى أسواقه ، لتمارس عمل الفتوة والبلطجة والصفافة ، وأن جرائمها الكريهة هذه جعلها تفكر جادة فى البحث عن ضحية لها بعد أفغانستان .

ثانياً : إن واشنطن لم تعد تقيم وزنا أدنى وزن للعالم العربى والعالم الإسلامى ، ولا تتوقع من العالمين إلا رضوخا مفرطا واستسلاما مذلا .

ثالثا : إن واشنطن لم تعد تعترف بالقوانين والأعراف الدولية وأنها تنظر إلى هيئة الأمم وفروعها مبانى بلامعان .

وماذا كان رد إميل لحود على المبعوث الأمريكى ـ الوزير الكندى ـ كذلك ؟

يقول التحقيق الذى كتب من بيروت إلى « المشاهد السياسى » :

« لكن الرئيس إميل لحود الذى لم يبد ارتياحا للطروحات الأمريكية الكندية رفض هذا المشروع ، مطالبا وزير خارجية كندا بتعريف « الإرهاب » والتمييز بينه وبين المقاومة لتحرير الأرض فى مزارع شبعا والإفراج عن المعتقلين اللبنانيين فى السجون الإسرائيلية . . إلا أن الوزير الكندى جون ماينلى رد بضرورة الإفراج عن الجنود الإسرائيليين الثلاثة الذين يحتجزهم حزب الله أوتسليم جثثهم فى حال قلتهم ، كما يتردد فى إسرائيل »

هذا وقد شدد الرئيس لحود أمام الدبلوماسى الكندى ـ على أن حزب الله ليس منظمة إرهابية ولم يمارس أى عمل إرهابى ـ لا فى الداخل ولا فى الخارج ، لذلك فإن الطروحات الأمريكية الكندية مرفوضة ، لأنها لاتنطبق على واقع الحزب ، وطبيعة مقاومته للاحتلال الإسرائيلى » .

وانطلاقا من هذا التباين فى وجهات النظر ـ حمل الوزير الكندى فى جرأة لبنان وسوريا وإيران مسئولية ماقد يحدث فى مرحلة ما بعد أفغانستان . وخطورة الوضع فى المنطقة .

ويرى المحرر : أن لبنان فرضت واقعيا سياسيا جديدا فى البلاد من خلال الالتفاف حول الرئيس لحود ومواقفة وثوابته ، وخياراته الوطنية ، بحيث فشلت الولايات المتحدة فى خلق تيار مسيحى درزى معارض يمكن أن يضعف موقع الرئيس لحود خلال هذه المرحلة ، لأن النائب ـ الدرزى ـ وليد جنبلاط ، والمعارضة المسيحية شعرا بأن لبنان قد يكون مستهدفا فى الأشهر الستة المقبلة وأن الولايات المتحدة تحاول اختراق السياسة اللبنانية والجبهة الداخلية لتغطية ماقد يحدث خلال المراحل المتلاحقة .

ونقول نحن :

هذه هى أمريكا على حقيقتها . خلعت القناع ـ بعد أن افتضح أمرها ـ لتكشف عن وجه قبيح كريه ، لقد استولى عليها اللوبى الصهيونى ، وسخرها لخدمة مصالح الدولة العبرية ، والعرب أصيبوا بتخمة النوم ، ولم يعودوا يطربون إلا للإذاعة تردد : أمجاد ياعرب أمجاد !

إن واشنطن تتمادى فى التسلط على العالم ، والحق أنها لاتلام على ذلك ، وإنما الملوم : الأنظمة المستبدة ، والشعوب المغلوبة على أمرها ، والمأساة تكمن فى أن الولايات المتحدة موغلة فى التعصب الصليبى وهى تحتضن الدولة العبرية « اللقيط » ليس حبا فى اليهودية ولكن كراهية للإسلام وحقدا عليه ، شأنها شأن أوربا الصليبية .

ولك أن تقرأ مانشرته « الأسبوع » فى العاشر من ديسمبر الماضى ، تحت عنوان :

- « بدعم مبدئي ١٠٠ مليون دولار »
- المخابرات الأمريكية تستخدم باكستان لمراقبة المدارس القرآنية »

هذا ما ذكرته تقارير صحفية باكستانية ـ كما تقول الصحيفة ، وتتم هذه المراقبة عن طريق خلية خاصة من أجهزة الاستخبارات لمراقبة المدرسين والطلاب وخاصة الذين يتصلون بالخارج .

وقالت صحيفة « ذانيوس » الباكستانية : إن الدعم الذى تلقته الحكومة هو لإقامة بنك معلومات عن طلاب المدارس القرآنية ومدرسيها وسيكون من أهداف هذا البرنامج ـ أيضا ـ الرقابة على منشورات هذه المدارس ودور النشر التابعة لها .

وأضافت الصحيفة : أن هذا المبلغ سيستخدم ـ كذلك ـ فى إيجاد برامج دراسية جديدة فى هذه المدارس التي كانت الدراسة فيها قاصرة على القرآن ، مشيرة إلى أنه سيكون على المدرسين الخضوع لدورات تدريبية لمتابعة البرامج الجديدة ، فى حين سيفقد المعارضون منهم وظائفهم .

وأخيراً ـ وليس أخراً : فقد أعلنت الحكومة الباكستانية تحت ضغوط أمريكية أنها تنوى تنظيم هذه المؤسسات التى تزايد عددها فى السبعينات من القرن الماضى .. وما هو جدير بالذكر أن هذه المدارس تتيح لآلاف الطلاب الفقيرة الحصول على حد أدنى من التعليم ، وتعتبر إحدى أهم المؤسسات التعليمية التى تحافظ على الإسلام فى شرقى آسيا وأفغانستان !

ولاداعى للدهشة إذا علمت أن التسلط الأمريكى على ديار العرب

والمسلمين .. تمارسه مؤسساتها فى هذه الديار ، وفى مقدمة هذه المؤسسات الجامعة الأمريكية .. التى تعتبر نفسها دولة داخل الدولة .

في عدد « الأسبوع» السابق كتب الأستاذ مصطفى سليمان يقول : الجامعة الأمريكية ترفض تنفيذ حكم قضائى بدخول المنقبات حرم الجامعة.. إنها البلطجة ـ أجل : البلطجة الأمريكية ـ تهدد القضاء المصرى .. هذا هو أفضل تعبير لما تمارسه الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، فعلى الرغم من حصول إيمان الزيتى الباحثة بجامعة الأزهر على حكم قضائي من محكمة القضاء الإدارى بأحقيتها فى دخول الجامعة الأمريكية بالنقاب فإن الجامعة ترفض تنفيذ الحكم . وتتحدى القضاء المصرى !

ويقول الكاتب :

إن الجامعة الأمريكية مارست عنصريتها بالضغط على أولياء أمور المنقبات ليخلعن النقاب إلا أن إيمان الزينى أصرت على موقفها ، وأقامت دعوى قضائية فى مجلس الدولة وقد حكمت المحكمة بوقف تنفيذ قرار الجامعة ، إلا أن المسئولة قالت : إنها لن تنفذ ، وأمرت الجامعة أمن الجامعة بمنع الطالبة من الدخول حتى أن مدير أمن الجامعة ـ وهو لواء شرطة سابق ـ وقف بنفسه أمام بوابة الجامعة ليعلن تحدية الحكم القضاء المصرى .

وما حدث بعد ذلك كان أسوا :

توجه المحامى ومعه الباحثة إلى قسم عابدين لتحرير محضر لإثبات امتناع الجامعة عن تنفيذ الحكم .. وهناك رفض الضباط تحرير المحضر خوفا من الجامعة لأنها أمريكية »

ولايسعنا إلا أن نقول :

إن الجامعات الأمريكية فى شتى بقاع العالم ليست إلا فروعا للمخابرات المركزية الأمريكية وامتدادا للنشاط التبشيرى ، وبخاصة فى ديار العرب والمسلمين ، وهذه الجامعات تتصرف من منطق النفوذ الأمريكى ، والحادثة التى عرضها الكاتب مصطفى سليمان لمأساة إن دلت على شئ فإنما تدل على أن واشنطن بمعوناتها من حقها أن تخترق استقلال مصر ، وأن لا تعبأ

مؤسساتها بأحكام القضاء وأية إهانة لمصر وقضائها وشعبها وحكومتها أكبر من هذه الإهانة .. ؟؟

ولايقع اللوم على واشنطن وإنما يقع على الدولة التى تسمح بمثل هذه الإهانة الزرية ، وعلى الشعب الذى تنازل عن انتمائه لمصر ، وأرسل أبناءه إلى هذه الجامعة المتغطرسة ، وعلى وسائل الإعلام التى التزمت الصمت المطبق ، وإن تعجب فعجب المدير أمن الجامعة اللواء السابق للشرطة ، الذى أسهم من أجل راتبه فى إهانة مصر فالمكافأة التى حصل عليها فى نهاية الخدمة خيالية ومعاشه كذلك .. ولكن ماذا نقول بعد قول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما رواه مسلم عن أبى الأسود ـ رضى الله عنه :

« لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا .. ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب »

وأعود فأقول :

إن المؤسسات الأمريكية فى شتى البقاع ، والسفارات على رأس القائمة تابعة للمخابرات المركزية الأمريكية ، وبالنسبة للمؤسسات الثقافية والتعليمية ، تخضع كذلك للهيئات التبشيرية ، وفى مقدمتها هيئة الكنائس العالمية ، وإلى عهد قريب كانت هذه الهيئات تمثل دولة داخل الدولة فى العديد من الدول العربية والإسلامية ، ومنها على سبيل المثال : إندونيسيا والسودان !

* * *

وكل يغنى على ليلاه :

أطالوا الحديث عن الإرهاب ، ولم يجيدوا :كل يفسره على هواه ومزاجه لمصلحته الذاتية ، إن واشنطن وربيبتها تل أبيب ، تعتبران دفاع أصحاب الحق عن حقوقهم ، عن أرضهم المغتصبة وكرامتهم المهدرة إرهابا وليس اغتصاب الحق وإعلان حرب الإبادة على أصحابه ، والاستخفاف بهيئة الأمم ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية ، وتحدى الرأى العام فى وقاحة ، مما يمت إلى الإرهاب بصلة .

أليس من المضحك ، وشر البلية ما يضحك ـ أن واشنطن ـ قبل أحداث الثلاثاء الأسود ـ كانت تضع حركة حماس والجهاد فى فلسطين ، وحزب الله فى لبنان فى رأس قائمة الإرهاب ، وبعد أحداث الثلاثاء المشئوم ، وضعت واشنطن فى قائمة الإرهاب كل العرب والمسلمين ، وحق لواشنطن هذا ، وقد دفعها غرورها إلى اعتبار العالم غابة وهى وحدها أسد الغابة ،وعلى بقية الحيوانات والطيور أن تدين لها بالولاء والطاعة !!

أجل :

الإسلام هو المستهدف ، والحرب الصليبية لم تنته كما قال اللورد إللنبى إبان الحرب العالمية الأولى إثر دخوله فلسطين :ولن تنتهى هذه الحرب الصليبية ، وأكدته ولاتزال تؤكده الأحداث ، ومن أنكر هذا أهون عليه أن ينكر الشمس فى رائعة النهار ومن شك فى ذلك فهو :

كنا طح صخرة يوما نيوهنها فلم يهنها وأوهى قرنه الوعل

وإذا أنكرت القوى المعادية للإسلام أنها تحارب الإسلام ، فإن إنكارها مردود عليها ، وإلا لماذا تركت وسائل إعلامها تواصل الحملات المسعورة ضد العرب والإسلام والمسلمين : ولماذا شنت واشنطن حربا طائشة على السودان وليبيا ، ولاتزال تشن الحرب على العراق وأفغانستان وكلها دول عربية وإسلامية ؟ ولماذا تركت واشنطن ربيبتها إسرائيل الوقحة تعربد فى المنطقة العربية بأسلحتها الفتاكة التى دفع ثمنها الباهظ دافعو الضرائب من الشعب الأمريكى ؟ تحتل لبنان والجولان ، وتدمر المفاعل الذرى فى بغداد وتضرب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى تونس ، وترتكب جرائم التدمير ، والقتل والاغتيال فى الأرض المحتلة ، وتفتح أبوابها ليهود العالم كله ليعيشوا على أرض مغتصبة ، بينما ترفض رفضاً قاطعا أن يعود المشردون أصحاب الأرض الأصليون إلى ديارهم .

ولاعجب أن ينكر العلمانيون لدينا أن يكون لغرب عازما على شن الحرب الصليبية حتى بعد أن صرح الرئيس الأمريكى بوش بأنه يقود حملة صليبية ، ولك أن تقرأو لا تدهش ، لأن الشئ من معدنه لايستغرب ـ ماجاء

فى حوار أجراه الصحفى مأمون غريب مع الأستاذ محمود العالم ـ على صفحات « آخرساعة » فى ٢٠ / ١٢ / ٩٨٨ م

ـ قلت له : « عندما كان كلينتون فى غزة ـ قال متهكما : « إن تطبيق (العين بالعين والسن بالسن) سيجعل العالم كله من العميان » هل يعنى هذا التهكم عداء للإسلام ؟

قال : « أنا لا أعتقد فى كلامه العداء الغربى للإسلام ، لأن المصلحة هى التى تحرك العلاقات الدولية »

ـ قلت : « ولكن ـ هينجتون ـ الذى يقول : بأن الإسلام أصبح العدو للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ؟

ـ قال : إن هينجتون مخطئ .. لأنه لايوجد صراع حضارات ولكن صراع مصالح وهو يحاول بهذه الدعوة أن يغطى صراع المصالح ، ويقول بهذا الكلام ليُغيَب حقيقة الصراع .. »

هكذا شأن اليساريين والعلمانيين ، الذين ترحب وسائل الإعلام فى ديار العروبة والإسلام باعتبارهم مفكرين ومجددين .

منذ سنوات كنت فى البحرين مشتركا فى مؤتمر إسلامى للندوة العالمية للشباب الإسلامى السعودية ، ولاحظت أن التلفاز يمنح المؤتمر الإسلامى مساحات ضيقة ، ودقائق خاطفة ، وكان قد استضاف المفكر العلمانى اليسارى محمود أمين العالم ليتحدث فى زهاء ثلاث ساعات متواصلة ..

ومنذ سنوات أيضا كنت فى بغداد مشتركا فى موتمر إسلامى بدعوة من مكتب التربية العربى بالخليج ، وكان معاصرا للمؤتمر الإسلامى ، مؤتمر للشعراء العرب .. وكانت الحرب بين العراق وإيران ماتزال قائمة ، ولاحظت أن الإعلام فى بغداد يمم وجهه شطر مؤتمر الشعراء ،وأعطى ظهره للمؤتمر الإسلامى الذى كان يناقش مشكلات الشباب العربى ، بينما الشعراء العرب جاءوا ليمدحوا سيف الدولة الحمدانى ـ آسف ـ ليمدحوا صداما حامى العروبة ضد الفرس ، وما قاله الأمير السعودى عبدالله الفيصل ، والأميرة الكويتية سعاد الصباح فى قصيدتيهما ماهو أبلغ من هذا

. بل إن الأميرة الكويتية نددت بالعرب لأنهم مقصرون فى مساندة صدام المدافع عن أرضهم وكراستهم وأعراضهم ، والحق أن الأميرة الكويتية كان لها العذر ، لم تكن تعلم الغيب ، فحامى حمى العروبة طاغية بغداد لم يكد يلتقط أنفاسه بعد انتهائه من حربه مع إيران وكان هو البادئ ـ حتى فكره فى رد الجميل للعرب على ماقدموه ، فاعتدى اعتداء غاشما مفاجئا على الكويت ، ومنح واشنطن فرصة العمر للاستيلاء على مناطق الثروة ، احتلالا شاملا ماديا ومعنويا ، يتكبد العرب نفقات قواعدها العسكرية الباهظة عن يد وهم صاغرون .

ويتجلى هنا المثل العادل : «من أعان ظالما سلّط عليه » وماورد فى الأثر : « آلت النفس الخبيثة ألا تغادر هذه الدنيا ، حتى تسيئ إلى من أحسن إليها »

إثر جريمة صدام فى حق الكويت ألفت كتابا نفد فى أسابيع ، وعنوانه : «هولاكو القرن العشرين وبين الهولاكين صهر ونسب » وكم أسفت لأننى لم أراع المثل السائر « من أعان ظالما سلط عليه » وقوله جل شأنه :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾

* * *

ومعذرة للقارئ .. ونعود من حيث بدأنا :

فى مجلة « المشاهد السياسى » التى تصدر فى لندن (٣٠ / ٩ / ٢٠٠١م) حوار مهم أو تحقيق ذو أهمية كتبه الأستاذ هشام الديوان : «الأسباب والمتبعات والعواقب . التطرف والتطرف المضاد .. الاقتصاد أم الإسلام هوالهدف ؟ »

قال المحرر فى البداية :

السؤال الجدير بالبحث الآن هو :

هل تورطت أمريكا فى افتعال معركة مع الإسلام ؟

أم أنها أعدت حربا محدودة مع المسلمين ؟

حسبنا من هذه العبارات أن فكرة إعلان أمريكا الحرب الشاملة على

الإسلام مطروحة ، وجديرة بالبحث ، على عكس العلمانيين الذين يرفضون الفكرة من أساسها ولذا فهى غير مؤهلة للبحث .

إلا أن المحرر ـ بارك الله فيه ـ أثار نقاطا كانت ولاتزال جديرة بالإثارة ـ وكثير من القراء يفاجأ بها ومنها :

● « ومن نسأل لنعرف الحقيقة عندما لايراد للحقيقة أن تظهر ؟

وهل ستشهد الولايات المتحدة الدولة التى تعود أن يكون خصومها هم الضحايا الأزليين ، فتحولت بقدرة قادر وفى غمضة عين إلى ضحية ، بكى البشر فى الشرق والمغرب على محنتها ، من درس الماضى المتعلق بسلوكها وسياستها وإجازتها لإسرائيل لقتل القادة والبسطاء الفلسطينيين ، بدم بارد وبلا محاكمات »؟

وهل ستفعل الولايات المتحدة ـ الدولة العظيمة فى كل مقاييس الحضارة والمدينة والعلم نفس ما فعلته إسرائيل ، وتقدم على قتل من تزعم أو ترى حقا أو بلاحق أنهم وراء الأحداث ؟؟

● أليس للولايات المتحدة أعداء من أبنائها وقادتها ، وفئاتها الاجتماعية الفقيرة تشعر بالظلم من الفارق بين ماتريد من حدود دنيا تُبْقى لها القَدر المقبول من الكرامة وبين الغنى الفاحش ، وأيضاً من جراء غياب العدالة الاجتماعية؟؟

● فى نظر البعض : أن بواعث ومحركات ماحدث فى الولايات المتحدة من أعمال مروعة ، لم يكن أكثر من دوافع اقتصادية أو سياسية أوعقائدية ، وأنها بالتالى لاطائفية ولادينية ، وبالتالى ، فليس لها من رابط أو علاقة لابالعرب ولابالمسلمين .

● وفى الانحياز لصالح إسرائيل التى وجدت فى دعم الإدارة الأمريكية الحالية ـ منذ أن توالى جورج بوش الابن الرئاسة فى البيت الأبيض فى الأسبوع الأخير من فبراير الماضى ـ فرصة لتحرير ماتريده ، ومن وجهه نظر الآخرين ، فإن كان كل ما قيل صحيحا بالفعل ـ فإن إسرائيل الدولة الطائفية هى المستفيدة الوحيدة مما حصل فى الولايات المتحدة من أحداث

مروعة ، ومن تبعات وردود أفعال عادت بالشر على العرب والمسلمين .. فقد نجحت إسرائيل فى نقل تبعية دورها كلاعب رئيسى فى الصراع فى الشرق الأوسط ، إلي الغرب المسيحى أو لنقل الليبرالى ، فبات المواجهه .. عربية ـ إسلامية فى صفها الثانى ، مقابل « غربية مسيحية ليبرالية فى صفها الأول ، وانتقلت العصا والدبابة والمدفع ، والقوة المؤذية من الموقع الإسرائيلى إلى الموقع أو اليد الغربية التى تقودها الولايات المتحدة .

● إحصاءات مفزعة مروعة :

أ) فى حرب الخليج الأولى ـ دفع العراق وإيران البلدان المتجاوران بالنيابة عن الغير وبإرادة الغير أكثر من مليون ونصف مليون قتيل ، ونحو ٧٠٠ مليار دولار على الأسلحة ، ونحو ٢٠٠ مليار دولار على الإعمار الذى لم يكتمل بعد ..

ب) وفى حرب الخليج الثانية : اعتداء العراق على الكويت ـ تم محو نحو ٤٠٠ مليار دولار من ودائع وموجودات وأرصدة الدول الخليجية فى البنوك الأمريكية الكبرى ، التى خسرتها فى البرازيل والمكسيك ،ومناطق أخرى اعتبرت أول الأمر نموذجية للاستثمار إلى أن هوت تماما وأكلت معها أموال النفط الخليجى ، فكان لابد من سيناريو لتمرير قرار محو هذه الأموال حتى لايعود أصحابها للمطالبة بها ..

جـ) ورأى محللون أن الدول العربية النفطية الخليجية الثرية التى تملك استثمارات كبيرة فى الغرب ، يمكن أن تخسر عشرات المليارات من الدولارات بسبب الاعتداءات التى تعرضت لها الولايات المتحدة ، وتقدر الاستثمارات الحكومية والخاصة للدول العربية الخليجية فى الخارج بمئات المليارات من الدولارات وخصوصا فى الأسواق المالية والعقارات فى الولايات المتحدة وكندا ، وتبلغ استثمارات السعودية وحدها أكثر من مائتى مليار من الودلارات فى الخارج بينما قد تبلغ خسائرها حوالى ٢٨ مليار دولار بسبب تراجع الأسواق المالية ، وإغلاق البورصات فى الولايات المتحدة !

* * *

وعودا إلى الحرب الصليبية الجديدة التى تلفظ بها الرئيس الأمريكى إثر وقوع الأحداث ثم تراجع عنها بعد فوات الآوان وقلنا :إ ن الحرب الصليبية لم تتوقف وازداد سعارها منذ عدة عقود بسبب الصحوة الإسلامية ،وأدلى الإعلام الصليبى بدلوه فيها جنبا إلى جنب مع المدفع والطائرة والصاروخ ، ولم يكن مثيرا للدهشة أن تظهر جائزة « نوبل »على المسرح لتثبت وجودها فى حلقات التحالف ضد العرب والمسلمين .

في جريدة « القاهرة » الصادرة فى ١٦ / ١٠ / ٢٠٠١م مقال بقلم المحررة أمنية فهمى تساءلت : « هل دخلت جائزة نوبل ضمن أوراق التحالف ؟؟ وتعنى المحررة منحها الجائزة فى الآداب لعام ٢٠٠١ م لكاتب موهوب فى الكتابة والتحيز ضد الإسلام .. ومما جاء فى براءة الجائزة : لأنه أحد كبار الكتاب ذوى النزعة الإنسانية الذين يكتبون باللغة الإنجليزية والممنوح هو « نيبول » البريطانى الجنسية !!

* * *

التطاول على الإسلام

هو من إرهاصيات شن الحرب الصليبية ، ويبدو أن تصريح بوش بأنه سيقود حربا صليبية ، فتح شهية غيره من قادة الغرب لكى يجتروا أحقادهم ، وبعد بذاءات رئيس وزراء إيطاليا صد الإسلام ـ كما تقول افتتاحية «الأسبوع» فى (١ / ١٠ / ٢٠٠١) كاتب أمريكى مجرم يطالب بهدم الكعبة .. ومن يدرى .. مولانا جورج بوش خليفة على المسلمين فى الأرض ؟؟

يتساءل الأستاذ مصطفى بكرى :

هل هى حرب على الإرهاب ـ حقا ـ أم هى حرب على العرب والمسلمين تحديدا : وماذا وراء الدعوة إلى حرب دينية تحت شعار مقاومة الإرهاب ؟ هناك وثيقة أمريكية تطالب بتفتيت العالم الإسلامى ، وشن الحروب على مراحل بمشاركة دول صديقة .

يرى الكاتب أنه من الملاحظ منذ وقوع أحداث الثلاثاء الأسود ـ أن هناك محاولات غربية متعمدة هدفها الإساءة للإسلام وتصويره وكأنه دين يدعو إلى الإرهاب وترويع الآمنين والقضاء على حضارة العرب .. وقد جرى توظيف الإعلام العربى لخدمة هذا الهدف ، والذى يبدو أنه ليس وليد الأحداث الأخيرة ، مما دفع بالعنصريين فى دول الغرب إلى شن حرب تترية ضد العرب والمسلمين شبيهة بالحملة المكارثية التى شهدها المجتمع الأمريكى فى أوائل الخمسينات .

ويضيف الكاتب الكبير :

ومن الواضح حتى الآن ـ وبغض النظر عن الاعتذارات ، ومحاولة تفسير المواقف على غير حقيقتها ـ فإن هناك شعورا لدى العرب والمسلمين : بأن ما يجرى الآن يستهدف عقيدتهم وقوميتهم ، وأن الغرب قرر أن يخوض صراعا حضاريا هدفه وأد الإسلام والقضاء على الأمة العربية وإخضاعها للتبعية الكاملة وفرض الحضارة الغربية عليها .

وإذا كان هناك عدد من كتاب المغرب ـ على رأسهم ـ صموئيل هنتنجتون، صاحب كتاب : « صراع الحضارات » وفرانسيس فوكاياما ـ صاحب كتاب « نهاية التاريخ »وغيرهما ، قد بشروا بعهد تنتصر فيه الحضارة الغربية على حضارة الإسلام والكونفوشيسية ، فإن قادة بوزن ريتشارد نيكسون كتب فى كتابة الشهير : « الفرصة سائحة » والذى صدر منذ عدة سنوات مؤكدا أن الإسلام هو العدو الرئيسى للغرب ـ بعد سقوط الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتى * .

ويشير الكاتب الكبير إلى أن هذه الخطة ،ليست وليدة التو أو اللحظة ، ولكنها خطة تسكن فى الأدراج الأمريكية منذ عام ١٩٨٤ م على وجه التحديد حيث كان الرئيس الأسبق جيمى كارتر ، هو أول من دعا إلى صياغة استراتيجية . أمريكية واضحة ضد الإسلام ، وبخاصة أن وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنرى كيسنجر ، كان ينصح دائما بأهمية الالتفات إلى ماكان يسمية بخطورة الإسلام باعتباره الأكثر عداء للغرب من الشيوعية .

وقد عهد الرئيس جيمى كارتر فى هذا الوقت إلى أقرب مستشاريه بوضع هذه الاستراتيجية التى جرى إخضاعها لمناقشات استمرت أكثر من عام فى جهاز الأمن القومى الأمريكى ، وبعدها انتقلت المناقشات إلى لجنة الاستخبارات فى الكونجرس الأمريكى حيث أوصت اللجنة بأن يظل الملف سريا ، وأن يتم البدء فى تنفيذه وفق خطوات متدرجة ـ شريطة عدم إشعار الدول الإسلامية بأن الولايات المتحدة تدخل فى مواجهه مع الإسلام .

ويقول التقرير هنا :

« إننا يجب أن نظل أصدقاء الدول الإسلامية لأن مصالحنا الحيوية المنتشرة فى العديد من دول العالم الإسلامى ستتعرض لمخاطر حقيقية ، إذا كان هناك إحساس بأن الولايات المتحدة ضد الإسلام »

---

* نيكسون الرئيس الأمريكى الذى تم عزله بعد فضيحة ووقز جينت فى ٣٠ / ٧ / ٩٧٤

ونقول :

إن مقال الأستاذ مصطفى بكرى من الخطورة بمكان وفيه مالم يسبق نشره من قبل ، لأن الأنظمة المستبدة التى تحكم ديار العرب والمسلمين لايهمها الإسلام فى شئ .. إلا إذا احتاجت إليه فى أزماتها حيث تجد من المشايخ من يفسرلها الإسلام تفسيراً ـ ولو باطلا ـ مادام يحقق للأنظمة أهدافها .. وكم كنت ود نقل المقال برمته هنا . ولكن حسبنا ما أشرت إليه .. منها .

« وهكذا : كان هذ التقرير هو أول أوراق يقرؤها الرئيس بوش فى أعقاب حادث الثلاثاء الأمريكى الأسود ، وقرر منذ اللحظة الأولى أن يجعل عنوان حربه « الحرب الصليبية الثالثة » لولا أن مستشاريه تدخلوا فى الوقت المناسب ورأوا أن هذه التسمية تعنى التصريح المباشر بالحرب بين الإسلام والمسيحية ، وهو مارفضه الفاتيكان فى لحظته أيضاً ، واعتبر البابا أن ذلك خطر كبير يمكن أن تقع فيه السياسة الأمريكية .

وعودة إلى التقرير الامريكى الخطير الذى بنى الرئيس بوش استراتيجية حربه ضد الإرهاب .

فالفرضية الأولى التى تنطلق منها الاستراتيجية الأمريكية فى مواجهة الإسلام ، هى الزعم بأن هناك عداء مباشرا بين الإسلام والديمقراطية الغربية ، وبخاصة الأمريكية ، وإن الحكومة التى تأخذ بالمعتقدات الإسلامية الخالصة ، هى حكومات ديكتاتورية ، لأنها تضر بحقوق الإنسان .

كما أن هذه الحكومات إذا ما توافقت فى لحظة ما مع السياسة الأمريكية فإن هذا التوافق سيكون جزئى ومؤقتا ، وأن الاصطدام الأمريكى مع هذه الحكومات أمر قائم ، وبصيغة مباشرة فى كل الأوقات الحرجة أو أوقات الأزمات التى يمكن أن تواجه السياسة الأمريكية فى أى منطقة من مناطق العالم .

ويقول التقرير .

« إن مايزيد عمق هذه الخلافات هو تلك الصحوة الإسلامية التى انتشرت فى العديد من دول الشرق الأوسط ، وبخاصة مصر ، إيران

والسودان والجزائر والسعودية ، فهذه الصحوة التى تتمثل فى العديد من الجماعات والحركات الدينية ، أعلنت منذ مولدها عداءها الواضح للسياسة الأمريكية ، ليس من منطلق تناقض أو تضارب المصالح ولكن أيضاً : لتناقض القيم والمبادئ ، وبخاصة ما يتعلق منها بالديمقراطية . »

ولنا تعقيب موجز :

أولاً : يبدو أن العالم الإسلامى فى سبات عميق ، لايدرى شيئا عن المخططات الرهيبة التى تستهدفه ، ووسائل إعلامه آخر من يعلم وكان الله فى عون هذا الإعلام الذى يعكس جل نشاطه على التهليل لأصحاب الجلالة والفخامة والسمو والعزة .

ثانياً : وأين مخابرات العالم الإسلامى ؟ يجب أن نلتمس لها عذرا لأن مهمتها قاصرة على العمل لحساب السلطة ، فهى لاتتوقف عند حدود مراقبة مناهضى السلطة ، بل تتجاوز ذلك إلى مراقبة من لهم مواقف سلبية من السلطة آخذين بمبدأ العجزة : « انج سعد فقد هلك سعيد » إن المخابرات فى العالم الآخر - وولاسيما الولايات المتحدة - ترعى الدولة ولاترعى الأشخاص . . الدولة باقية والأشخاص زائلون . . لقد عزل نيكسون عام ٩٧٤ إثر مقال نشرته الصحف عن : فضيحة ووترجيت ، لم تتدخل المخابرات لحمايته ، بل أعانت على عزله ، وكانت فضيحة كلينتون - مونيكا فى أواخر أيام ولايته الثانية ، ولم تتدخل المخابرات لحمايته بل أعانت عليه .

وفى العالم الذى نحن منه تعمل المخابرات على التصفية الجسدية لمعارضى الملوك والسلاطين والرؤساء . . السجون والمعتقلات مكتظة بالسياسين المعارضين ، ومنهم من هو ملقى خلف الأسوار منذ ثلاثة عقود ، والإعلام لاهمّ له إلا التهليل بعدالة الجورة ، ورحمة الجبابرة وإنسانية القادة .

ثالثاً : قادة الغرب ومفكروه ممن أكل الحقد قلوبهم ووتّرت رواسب الحروب الصليبية أعصابهم ، يخشون من الإسلام على ديمقراطيتهم ، وحضارتهم ويخافون على حقوق الإنسان من الإسلام إذا طبق .

الإسلام أيها المرجفون : لولا حضارته التى أشرقت شمسه على أوربا ، لظل الغرب حتى اليوم فى ظلام دامس ، وبعد أن تخلى الغرب عن هذه الحضارة الوافدة إليه من الشرق ، صنع لنفسه حضارة مادية ، تمخضت عن حروب مدمرة استهدفت الإنسان والعمران ، هذه الحضارة صنعت القنابل الذرية وأسلحة الدمار .

واليوم يتنكر الغرب لما أسدته حضارة الإسلام إليه من أياد ورد الإحسان بالإساءة ، وصلوات الله وسلامه عليه يقول :

« آلت النفس الخبيثة ألاتغادر هذه الدنيا حتى تسيئ إلى من أحسن إليها »

ورحم الله الشاعر العربى :

أعلمه الرمية كل يـوم فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانـى

الإسلام أيها المرجفون لوأنصفتم ـ وهيهات أن تنصفوا ـ مسئول عن مبادئه ، وليس مسئولا عن انحراف أهله عن مبادئه ، هذه المبادئ تقر حرية الرأى فى مواجهة الحاكم ، الذى تعتبره واحدا من سائر الرعية بيد أنه أثقلهم حملا وأكثرهم مسئولية .

هذه المبادئ تقر حقوق الإنسان بغض النظر عن وضعه الاجتماعى ، من منطلق مبادئ الحق والعدل والمساواة .. الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى ، ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لغنى على فقير : « كلكم لآدام وآدم من تراب »

حسبنا أن نسوق إلى هؤلاء المرجفين والخراصين :

● ماروواه الإمام مسلم فى صحيحه عن سويد بن مقرن ـ رضى الله عنه ـ قال : « لقد رأيتنى سابع سبعة من بنى مقرن ، مالنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نعتقها » .

● وما رواه الإمام مسلم أيضا عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

«من ضرب غلاماً له حدا لم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه .

وما رواه الإمام مسلم عن أبى مسعود البدرى ـ رضى الله عنهما ـ قال «كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى : اعلم أبا مسعود : فلم أفهم الصوت من الغضب .. فلما دنامنى .. إذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسقط السوط من يدى من هيبته .. فإذا هو يقول : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام «فقلت : يارسول الله هو حر لوجه الله .. فقال : أما أنه لولم تفعل للفحتك النار أو لمستك ».

● وفى صحيح مسلم : أن هشام بن حكيم بن حزام ـ رضى الله عنهما ـ مر بالشام على أناس من الأنباط ، وقد أقيموا فى الشمس ، وصُبّ على رءوسهم الزيت ، فقال : ماهذا ؟ قيل : يعذبون فى الخراج وفى رواية : «حبسوا فى الجزية » فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » فدخل على الأمير فحدثه ، فأمربهم فحلوا »

الأنباط : الفلاحون من العجم

● ورأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يهوديا عجوزا يتسول :فسأله ماالذى حمله على هذا ؟ فأجاب : السن والجزية يا أمير المؤمنين » .

قال عمر : ماأنصفناك يا يهودى ! وأمر له بعطاءمن بيت مال المسلمين »

● ورأى ـ رضى الله عنه ـ عينا من أعيان المدينة يسير متعاليا ووراءه غلمانه ، فعلاه بالدرة ، وقال : إن فى هذا فتنه لك وإذ لالا لخلق الله » .

● وما تزال كلمات عمر ـ رضى الله عنه ـ ترن فى آذان التاريخ على مسار أكثر من أربعة عشر قرنا ـ حين شكا إليه قبطى من مصر أن ابن الوالى عمروبن العاص ، ضرب ابنه ، وقال له أنا ابن الأكرمين ، فاستدعى عمرا وابنه ، والقبطى وابنه ، وطلب من الابن أن يقتص ، ثم وجه كلماته إلى عمرو : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

* * *

وبقى أن نقول :

لو أن لدى أمريكا ذرة أو أقل من الحياء لكانت آخر من يتكلم عن

الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وهى التى ضربت رقما قياسيا فى التفرقة العنصرية ومأساة الزنوج تشهد بذلك .. إن بين يدى كتابا للأستاذ رضا هلال يحمل عنوان « تفكيك أمريكا » وفى الفصل الثالث منه تحت عنوان «أمتان » سوداء وبيضاء » .

أمتان سوداء وبيضاء ، منفصلتان متعاديتان ، وغير متساويتين هكذا وصف البروفيسور أندرو الأستاذ بجامعة كوينز حالة التفرقة العنصرية فى أمريكا ، ومنذ بداية التاريخ الأمريكى كانت التفرقة العنصرية بين السود والبيض معضلة الحكم فى نزوعه نحو التفرقة العنصرية هى المتعضلة الأمريكية » يتعبير جونار ميردال والدلالة الصارحة على ازدواجية أمريكا سياسيا وأخلاقيا .

لقد تضمن إعلان الاستقلال الأمريكى أن جميع الناس يولدون متساوين وأن خالقهم منحهم حقوقا ثابتة ، منها حق الحياة والحرية وطلب السعادة » .

ولكن توماس جيفرسون ، عندما وضع إعلان الاستقلال وضع مسئولية « العبودية » على كاهل انجلترا التى تقوم بحرب قرصنة وتبيع الأفارقة فى سوق النخاسة فى أمريكا .

ويشير المؤلف :

إلى أن هذه الازدواجية فى موقف جيفرسون ـ الذى أسس العقيدة الأمريكية فى المساواة والحرية لإدانته العبودية ، وتحميل مسئوليتها على كاهل انجلترا ، وليس أمريكا سوق النحاسة ، عكست رؤيته التى عبر عنها بتشككه فى أن العنصرين الأبيض والأسود ، يمكن أن يعيشا تحت حكومة واحدة متساووين فى الحرية ، وهذه الرؤية التي عكست الواقع الاجتماعى والسياسى فى الدولة الوليدة وقتئذ ما لبثت أن توثقت فى نص الدستور الأمريكى ، فالأسود لم يذكر له أى وضع فى الدستور ..

وللقارئ أن يدهش عندما يقرأ :

« عندما نظرت المحكمة العليا عام ١٨٥٧ م فى دعوى « دريدسكوت »

الذى أراد سيده أن يعيد استعباده بعد تحرره ـ أقر القاضى « روبرت تينى رئيس المحكمة العليا ، وأن السود ليسوا معنيين بإعلان الاستقلال الذى أقر مبدأ المساواة بين الناس جميعا ، وذكر القاضى تينى : أن الزنوج عند وضع الدستور والموافقة عليه ، كانوا يعدون كائنات من مرتبة دنيا ، تنحدر إلي مستوى ليس لهم فيه أى حق يلزم الأبيض باحترامه .

وحتى أقل من نصف قرن كان الأسود إذا ما صعد إلى « الأتوبيس» لايحق له أن يجلس فى الصفوف الأربعة ، التى تحمل لافتة تقول « إنها محجوزة للبيض فقط » وإذا امتلأت تلك الصفوف الأربعة وصعد راكب أبيض وجلس إلى جانب أسود ، كان على الأخير أن يقف ، لأن أنظمة شركة النقل كانت تحظر جلوس البيض والسود متجاورين ، وفى عام ١٩٥٥ رفضت سيدة زنجية فى مونتجمرى (الباما) التخلى لراكب أبيض عن مكانها : واستدعى السائق الشرطة التى سجنت المرأة لانتهاكها قوانين المدينة بشأن الخافلات !!

ولك أن تتصور أن بيانات مكتب الإحصائيات القضائية الأمريكى عام ١٩٩٣م دل على أن جرائم العنف العنصرى « بلغت ٦٢٧٧٥٩ وتشمل الجرائم السرقة والقتل والاعتصاب .

قال جورج واشنطن الذى أصبح أول رئيس للولايات المتحدة .. قال بعد إعلان الاستقلال الأمريكى :

« قضيتنا شريفة إنها قضية الإنسانية »

وبعد نحو من ١٩٠ عاما قال الرئيس كنيدى الذى قتل غيلة « إن الأمريكيين هم الحراس على معاقل الحرية فى العالم »

وقال أمرسون :

« لقد اعتبر المستوطنون الأوائل أن بلدهم هو المخلوق الأخير ، وأعظم صدقة تصدق بها الرب على العالم .

وفى عام ١٨٤٥م صاغ جون أوسوليفان « فكرة المصير المبين » بمعنى أن الرب قدر لأمريكا أن تقود العالم إلى الحرية ، ومما قاله :

« إن الثورة العالمية تبتكر مجتمعا جديدا فى الولايات المتحدة بأمر من الرب الذى يقف بداهة إلى جانب الأمريكيين ! !

ومن هنا يتضح لنا ما قاله ستيل فى مؤلفه « الإسلام الأمريكى » :

« إن الأمريكيين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ـ يعتقدون أن من واجبهم أن يشكلوا العالم على صورتهم واليوم يصبح مضمون نظرية «المصير المبين » أمركة العالم أو عولمة الحلم الأمريكى »

ولكن ما حقيقة الشخصية الأمريكية ؟

● يرى هارولدلاسكى : أن الأمريكى براجماتى ـ أى يعتنق مذهب المنفعة .

● ويقول روبرت بيلا : إن الفردية ـ أى الأنانية ـ تكمن فى صميم الثقافة الأمريكية .

ونقول :

إن التاريخ لم ينس ولا ولن ينسى جرائم أمريكا ، ولولم ترتكب من الجرائم سوى إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما وبجازاكى باليابان عام ١٩٤٥م لكفاها أن توصم بأنها أحط دولة فى العالم ، وأن ما ارتكبه هتلر وجنكيزخان من جرائم ، يتواضع إزاء ما ارتكبته واشنطن ومازالت ترتكبه اليوم .

* * *

ولامكان للدهشة إذا قلت : إن أمريكا ذات نزعة صليبية ، وإنها كانت ـ ولاتزال ـ مؤهلة لإعلان حرب صليبية ، إن فى كتاب تفكيك أمريكا للأستاذ رضا هلال ـ إشارة إلى أن مغامرة مكتشف أمريكا كولومبس (١٤٠١ ـ ١٥٠٦) لم تكن إلا مغامرة دينية ، انتهت بانتصار المسيح فى أمريكا ، كان شأن مغامرته شأن دولة إسباتيا ، إلا أنها قبل ذلك كانت مهمة دينية ، فإسبانيا الأمة الأكثر إخلاصا للكاثوليكية فى أوروبا ،كانت تعتقد بمسئولية كبرى تجاه الفاتيكان ، ونقاء إيمانهم الكاثوليكى .. ولمدة

٨٠٠ عام حارب الكاثوليك المسلمين فى إسبانيا حتى نجحوا فى استردادها، وطرد المسلمين إلى أفريقيا عبر جبل طارق ، وإجبار يهود إسبانيا على اعتناق الكاثوليكية أو عزلهم وطردهم ـ وأخيرا مثلث مغامرة اكتشاف إسبانيا للعالم الجديد امتداد ا للحروب الصليبية التى استمرت لقرون ـ بالتوسع فى الأرض وإغناء مملكة الله وكنيسته .

تمثل المسيحية فى أمريكا ٨٨٪ من السكان ٦٠٪ بروتستانت ١٧٪ كاثوليك ١٪ أرثوذكس شرقيين . كما أن أمريكا تزخر بالكنائس ، ثم إن للكنيسة نفوذا وكلمة مسموعة ، بل إن أمريكا أكبر ممول للمؤسسات التبشيرية والتنصيرية فى شتى بقاع العالم ، ومن هنا يتضح لكل ذى لب أن تصريح الرئيس الأمريكى بوش الابن بأنه سيقود حربا صليبية لم يكن من فراغ .

ونقول مرة أخرى :

إن حملة الإعلام الغربى المسعورة ضد الإسلام منذ عقود ، لم تكن ـ وحسب ـ لمواجهه الصحوة الإسلامية التى قضت مضاجع الغرب ، بل إن الحملة الشرسة هى بمثابة إرهاصات تبشر بإعلان حرب صليبية ضد العرب والمسلمين ، قد تثأر للحروب الصليبية فى القرون الوسطى والتى ردها الجيش العربى والإسلامى ـ بعد هزيمة منكرة ـ تجر أذيال الخيبة والحسرة معا

***

فى جريدة « اللواء الإسلامى » العدد الصادر فى أول نوفمبر الماضى حوار أجراه المحرر حسن عبدالفتاح مع الدكتور عبدالحليم عويس أستاذ الحضارة والتاريخ من منطلق سؤال وجهه المحرر إليه : لماذا يتسرع الغرب فى الإساءة إلى الإسلام ؟؟

وخلاصة رد الدكتور تشير إلى غطرسة القوة والبحث عن عدو والشحن اليهودى وراء الإساءة إلى الإسلام .

ويرى الدكتور عبدالحليم عويس : أنه قياسا على قدرة الغرب على صياغة صورة نمطية للأعداء وعلى إيمان الغرب أنه لابد من عدو ثابت يصنع

من خلال الصراع معه تفوقه ، ويجد من خلاله قضية تضمن له تماسكه انطلاقا من هذا كله ، تحنفظ الذاكرة الأوربية وتابعتها الأمريكية ، بصورة نمطية للإسلام والمسلمين يصعب اختراقها ، لأنها ليست عملا تابعا للفكر والرؤية ، إنما هوعمل نابع للصراع الحضارى الذى يؤمن الغرب أنه هوالأصل فى العلاقات الدولية .

وأشار الدكتور إلى أن العلم والمنهجية والأخلاق العلمية التى يتحدثوعنها فى أوربا وأمريكا هذه كلها مقبولة إلا فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين فهى مرفوضة . وإشارة إلى الأحداث الأخيرة فى الولايات المتحدة قال الدكتور : « وأنا واثق من أنه لو وقع أى شئ فى العالم الآن ، حتى لوكان فى الإسكيمو لتسرع الغرب بنسبته إلى أى مسلم ، والبحث عن أى مسلم لنسبة الحدث إليه ، فنحن الآن كما قال هنتجتون مؤلف « صدام الحضارات » إن الإسلام هو العدو المباشر للحضارة الغربية والأوروبية ، ولعلنا جميعا نذكر حدث « أوكلاهوما » وكيف تسرعوا بنسبته إلى المسلمين ، ثم ثبت أن المتسبب فيه أمريكى .

وإشارة وإلى العدوان لأمريكى على أفغانستان تساءل الدكتور « أى قانون هذا الذى يسمح لدولة طاغية كأمريكا أن تبيد شعبا أو تقضى على دولة من أجل عشرين أو خمسين فردا ؟ إننا ـ إذن ـ نشعر بأننا فى غابة »

ونقول للدكتور أستاذ التاريخ والحضارة : لامجال للسؤال عن القوانين والأعراف إذا كان الآثمون برابرة وتتارا من نسل يأجوج ومأجوج ، ولهذا ما يبرره : تاريخ الحروب لصليبية وجرائم آل صهيون يشهدان بذلك .

والمثير للسخرية ـ وليس للأسى ـ وحسب ـ أن هناك من لايعترف بأن ما فعلته أمريكا وماتزال تفعله ، ليس إلا حربا صليبية تموج بالحقد الأسود .

فى السابع من نوفمبر الماضى ، مقال بجريدة الأهرام للأستاذ صلاح الدين حافظ بعنوان : « نظرة من بين الأطلال » قدم له بقوله :

تخيل مجرد خيال منسوج فى سيناريو طويل : « لو أن الأوضاع ابتداء من ١١ سبتمبر ٢٠٠١م جاءت مقلوبة ، بمعنى أن عناصر إرهابية أمريكية هاجمت أهدافا استراتيجية فى أفغانستان ، مثل برج التجارة العالمى .

فى قندهار ومبنى وزارة الدفاع فى كابول وربما مقر مجلس الشورى للإمارة الإسلامية فى جلال أباد . ماذا يمكن أن يكون الرد الأفغانى على هذا الإرهاب الأمريكى ؟؟

بداية سوف يسارع الإعلام الإسلامى فى أفغانستان بتوجيه الاتهام المتعجل ـ كالعادة إلى الإرهاب المسيحى اليهودى ويعزيه إلى الكراهية العمياء السوداء المحفورة فى عقول الأمريكيين المتعصبين للإسلام والمسلمين عموما وليس ـ فقط ـ للأفغان خصوصا . .

ثم على الفور ، تبدأ دورة الثأر والانتقام فتشن القوات الجويةوالبحرية والبرية هجوما شرسا ومكثفا على الأراضى الأمريكية ، بينما ينادى . . الملالى جمع « الملا » بالوحدة الإسلامية فى مواجهة الحرب الصليبية الجديدة الهاجمة على ديار الإسلام لتدمير الحضارة والثقافة التى أضاءت العالم بعد ظلم وظلام ـ وبالطبع ـ تصبح منظمة القمة الإرهابية الأمريكية ـ وليست القاعدة ـ هدفا أوليا للانتقام الأفغانى .

كأنى بالكاتب ـ سامحه الله ـ يسخر من فكرة أن أمريكا وحلفاءها من أوربا ، إنما تشن حربا صليبية ، برغم أن كل الدلائل والشواهد تؤكد ذلك ،وإن لم يصرح بوش بأنه يشن حربا صليبية . بل إن الكاتب يسخر من فكرة أن الحضارة الإسلامية أضاءت العالم ولا سيما أوروبا ، فى الوقت الذى لاينكره مؤرخو أوربا أنفسهم .

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

● ثم ماذا ؟

أهى حرب صليبية ؟؟

فى مساء الأحد ٢٠ رجب ١٤٢٢هـ ـ ٧ من أكتوبرعام ٢٠٠١م كتبت فى صيغة تساؤل . . وتركت القلم لأرد على الهاتف ، كان المتحدث أحد القراء من الشباب المسلم يسألنى هل سمعت آخر الأخبار؟ لقد بدأت الحرب الصليبية . . الطائرات والصواريخ والقنابل تقصف أفغانستان والغواصات البريطانية فى بحر العرب توجه قذائفها إلى إفغانستان !!

ونعود إلى تساؤلنا : أهى حرب صليبية ؟

وأقول : أجل إنها حرب صليبية بلامنازع ، والفرق بين هذه الحرب الصليبية الجديدة والحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، هوأن حروب القرون الوسطى تصدى لها العرب والمسلمون حتى ردت على أعقابها ناكصة وبقيت أحقادها يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل ، أما الحرب الصليبية الحديثة التى تشن على الإسلام بقيادة واشنطن فإن الأنظمة العربية والإسلامية تؤازرالصليبيين الجدد فى شن هذه الحرب القذرة على الإسلام . لأن المصلحة مشتركة بين أعداء الإسلام والأنظمة التى تدعى العروبة والإسلام .. الإسلام الصحيح الذى رضيه الله لعباده دينا والذى لواسترد اعتباره وحل من عقاله لأصاب أعداءه وأدعياءه معا بالقلق وأنذرهم بالخطر . أعداؤه لم يتحروا بعد من رواسب ما خلفته الحروب الصليبية من أحقاد ، ولهم أعين لاتغفل ولاتسلو عن منابع البترول ، وأدعياؤة متشبثون بالسلطة أسرا كانوا أم أنظمة ، متسلطون على رقاب رعاياهم تسلطا جاهليا يعتبرون الدول إقطاعيات يملكونها ويملكون رقاب رقيق هذه الإقطاعيات .

لاتحاول أن تسأل عن مئات المليارات من الدولارات التى لحكام العرب وأسرهم وحواشيهم المودعة فى مصارف أوربا وأمريكا ، وماذا يملكون فى بلادهم من ضياع وعقارات وقصور شاهقة تتواضع أمامها قصور ألف ليلة وليلة التى تحكى الأسطورة عنها .. أقول لاتفكر مجرد التفكير فى أن تسأل حفاظا على صحتك وعلى أعصابك .

ونعود لنتساءل : أهى حرب صليبية جديدة ؟ ونجيب ونحن مطمئنون : أجل ـ ولم يكن سبق لسان من الرئيس الأمريكى بوش أو قارون الجديد أو نيرون الجديد الذى أحرق سلفه منذ ألفى سنة روما ليتسلى مجرد التسلية باندلاع النار ، أو هتلر الثانى الذى دمر سلفه الأول كل شئ .. لم يكن سبق لسان من بوش حين صرح فى أحداث الثلاثاء الأسود بقوله : إنى سأخوض حربا صليبية جديدة » بل اجتر ـ فى الحقيقة ـ ما يكنه عقله الباطن من حقد دفين على الإسلام بعد أن خذلته قواه عن أن يمنع لسانه من هذا الهذيان ! فى مقال بمجلة المصورالقاهرية (٥ / ١٠ / ٢٠٠١م) للدكتور عبدالمعطى بيومى أثار فيه إلى أن هناك قلة قليلة من فلول التخلف الذى ساد العصور الوسطى فى أوروبا مازالت تعشعش فى رؤوسها أفكار التعصب والجهل الذى حرض أوربا ضد الإسلام فى تلك العصور المتخلفة !

وأسوأ ما تكون هذه القلة عندما تكون فى كراسى الحكم ـ كما يقول الدكتور ـ لأنها تؤدى بنفسها ومجتمعاتها وبالإنسانية كلها إلى الهاوية ، عندما تسيطر مشاعر الاستعلاء الكاذبة ، والتفوق الزائف ، فنسب فى صراع الحضارات واشتعال الحروب ، دون علم وروية ، وإدراك لطبيعة العصر الذى تعيش فيه .

ويرى الكاتب : أن هذه القلة التى لا تدرك عصرها ، عبرت عن نفسها فى شخص بيرلوسكونى ـ رئيس وزراء إيطاليا ـ عندما وصف الحضارة الإسلامية منذ أيام ـ بأنها لا ترقى فى قيمتها للحضارة الغربية ، وبرغم اعتذار بوش ورئيس وزراء إيطاليا .. وقد ادعى كلاهما أنه لا يقصد .. برغم هذا الاعتذار الذى لا يخفى ما فى النفس والعقل الباطنى ، وبخاصة عند بيرلوسكونى ، لأن عباراته كانت أوضح فى التعصب ، وأشد إيغالا فيه ، من بوش الذى أعلن أنه لا يقصد المدلول الدينى لكلمة « الصليبية » ـ فإن ما صدر عنهما له دلالاته .

هذا ـ ويعقب الدكتور عبد المعطى بيومى ـ يقول * ؟

« والشئ الذى يتجاهله بيرلوسكونى : أنه لولا الحضارة الإسلامية . لماكانت ثمة حضارة غربية على الإطلاق ، ولظلت أوروبا تغط فى جهالاتها وتخلفها ونومها العميق ، فى ظل الإقطاع والجهل والتخلف ، لكن الحضارة الإسلامية التى ازدهرت فى الأندلس ، بعلومها وفلسفاتها التنويرية ، هى التى أيقظت عقول أوروبا ، فعرفت لأول مرة ـ معنى الحرية والعدالة والمساواة ، وهى القيم الإسلامية نفسها التى أعلنتها الثورة الفرنسية ، بعد أن دان بها كل مفكرى وفلاسفة التنوير الأوربيين » .

وأضيف : إنه لمهم أن نعرف أعداءنا ، وأهم منه أن نكون على مستوى يليق بعزة المسلم ـ لنرد الصاع صاعين .

إن كل الدلائل التى صدقت مساء اليوم السابع من أكتوبر ـ حيث بدأت الحرب الشاملة الأمريكية من طرف واحد على أفغانستان ـ تؤكد أن هناك حربا صليبية جديدة قادمة ، خطط لها منذ أمد غير بعيد فى انتظار ساعة

---

* د . عبد المعطى بيومى : عميد كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر السابق .

الصفر ، كان محور الحروب الصليبية فى القرون الوسطى : باريس وبرلين ولندن وروما مقر البابا الذى دعا إليها وشجع عليها ، أما الحرب الصليبية الحديثة ، فمحورها : واشنطن وتل أبيب ، والذيول من أوروبا ، وكانت أحداث الثلاثاء الأسود الفرصة .. هذه الأحداث التى أسقطت القناع الزائف عن هيبة واشنطن ، وفضحت غرورها الذى زكم أنوفها ، وجعلت كبرياءها واستعلاءها مبعث سخرية أتباعها قبل خصومها .

يجب أن نعترف بأن الموساد ـ بمركزها فى تل أبيب ، وفرعها فى واشنطن قد نجحت فى التخطيط والتدبير والتنفيذ ، وفى تسخير الإعلام وإعداده بإتقان ـ وقبل بداية التحقيق فى الزج بالعرب والمسلمين فى دائرة الاتهام واعتماد أسامة بن لادن كبش الفداء .

وكانت فرصة لكى ترتفع قيمة كبش الفداء ـ أسامة بن لادن ـ ارتفعت أسهمه فى « بورصة » الأحداث ، من خمسة ملايين دولار إلى خمسة وعشرين مليون دولار أمريكى ، مكافأة لمن يسلم واشنطن رأسه حيا كان أم ميتا ، ومن يدرى فلعل أحد الأطباء العباقرة المتخصصين فى عملية الاستنساخ ، يستنسخ صورة لأسامة بن لادن ليسلمها إلى واشنطن ، وليفوز بالمكافأة التى يسيل اللعاب لها .

يقول الأستاذ مصطفى بكرى ، فى مقاله الافتتاحى بجريدة « الأسبوع » (١ / ١٠ / ٢٠٠١ م) .

« إن من يتتبع التخطيط الأمريكى ، والأدلة المفبركة ، والخطابات الساذجة . يدرك حجم الإفلاس والورطة التى وقعت فيها واشنطن . بعد أن نصبت نفسها حاكما بأمره على رقاب العباد ، توزع الاتهامات ، وتصدر الأحكام .. !

ونقول نحن :

إن الذين يظنون أن أحداث الثلاثاء الأسود الحزين هى التى كشفت عن النية السوء الحاقدة عن إعلان الحرب على الإسلام والمسلمين ، لا يدركون أن النية السوء ، بدأت مع الحروب الصليبية الأولى فى القرون الوسطى ، وكان الاستعمار الأوروبى الصليبى الذى جثم فى القرون الثلاثة الأخيرة

على أنفاس الدول العربية والإسلامية امتدادا للحروب الصليبية بعد فشلها ولكن بصيغة أخرى ، ثم انبرى الاستشراق والتبشير يذكيان نيران الحرب ، وقد انسحب الاستعمار فى النصف الثانى من القرن العشرين تاركا زعماء وطنيين صنعهم على عينه ، ألبسهم رداء زائفا من الوطنية ، ولم ينسحب التبشير ولا الاستشراق ، وما يزال لهما فى ديار نا تلاميذ وعملاء ، ولهما بصمات واضحة فى إعلام العرب والمسلمين وتوجيه الثقافة والتعليم .

ونجح يهود الدونمة ـ بمؤازرة الماسونية ، فى جعل الزعيم الخائن كمال أتاتورك دمية فى أيديهم بعد أن اكتشفوا فيه شهوة السلطة حتى قضى على الخلافة ، التى طعنها بعض زعماء العرب من الظهر بأوامر من النفوذ البريطانى ، ومن هؤلاء الزعماء العرب الذين تمتزج الخيانة بدمائهم من يفخرون بانتمائهم إلى آل البيت ، واستطاع أتاتورك العميل الخائن أن يجعل من تركيا مركز الخلافة الإسلامية إلى تركيا العلمانية تخضع للمحفل الماسونى الأعظم ، وينتهى بها المطاف ـ بسرعة البرق ـ إلى أن تصبح تابعا ذليلا لواشنطن وتل أبيب ، يتحكم فيها جنرالات ـ يتوهمون بغرورهم قدرتهم على سحق الشعب التركى المسلم المحافظ . . ونسوا : أن الله من ورائهم محيط ـ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون !! .

أجل : إنها حرب صليبية جديدة :

كان من مخططات هذه الحرب القذرة التى تخطط لها الصهيونية العالمية ، والتى حولت نشاطها من السرية الكتوم إلى العلانية المتحدية ، ابتداء من مؤتمرها الدولى الأول في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧ ـ كيان من المخططات : غرس إسرائيل ـ دويلة ولدت من سفاح تضم بين جناحيها أحفاد القردة والخنازير وقتلة الأنبياء ـ فى قلب المنطقة العربية ، فى فلسطين التى شرفت ولا تزال ـ ببيت المقدس ، والمسجد الأقصى ـ مسرى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وثالث الحرمين الشريفين ، وذلك لكى تنغص الدويلة اللقيط على العرب حياتهم ، وتسهم فى تحقيق مطامع الغرب الصليبى ـ وبخاصة أمريكا ـ فى الاستيلاء الكامل على المنطقة ، التى كانت روائح البترول بدأت تفوح من أرضها ، الأنظمة

العربية فى قبضة يد واشنطن ، التى وكلت إليه وضع شعوبها فى حصار محكم لكى تظل دائما على هامش الحياة ! .

ومثلى لا يلقى الكلام على عواهنه :

إن بين يدى عددا لا يحصى من تصريحات بعض مفكرى الغرب ، بل وساستهم ، تعتبر إرهاصات كالتى تسبق الحرب ، والحرب أولها كلام ، كما قال الشاعر العربى نصر بن سيار من قصيدة بعث بها إلى آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد .

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام

ولقد سجل بعض هذه التصريحات الأستاذ جودت سعيد فى كتيب له بعنوان : « لم هذا الرعب كله من الإسلام ؟ ومن هذه التصريحات نختار :

● الستشرق البريطانى جب الذى كان أحد مستشارى وزارة الخارجية الإنجليزية ، والذى صرح فى مؤلفه « إلى أين يتجه الإسلام ؟ يتساءل فى مرارة :

« هل يمكن أن نقع يوما ما تحت وطأة الخطر الإسلامى » ؟

ثم أضاف :

« أجل : إن المسلمين اليوم ضعاف متفرقون ، لا نرى عزما أكيدا لدى شبابهم يحملهم على التضحية .. ، ولا نرى عند ذوى الرأى والوجاهة فيهم ، أنهم يستطيعون الجلوس معا جلسة جدية ، يتحدثون فيها عن مشاكلهم ، فضلا عن أن يتمكنوا من حلها .

ويصف جب حالة العالم الإسلامى ـ كما يراه هو ، فيقول :

« ففى طوال ثلاثة عشر قرنا ونصف من تاريخ الإسلام ـ يصعب أن نشير ـ حتى سنوات قليلة ـ إلى حالة واحدة ، اجتمع فيها ممثلون من جميع أصقاع العالم الإسلامى ، ليتشاوروا فى مشاكل تعنيهم جميعا ، وليقرو اتباع طريق واحد فى العمل ... ولكن من عام ١٩٠٠م نرى فكرة عقد المؤتمرات الإسلامية تشق طريقها إلى الأمام شيئا فشيئا .

وبعد أن استعرض جب ما يمكن أن تؤدى إليه أهداف هذه المؤتمرات قال :

« وحتى إذا زعمنا أن العالم الإسلامى يمكنه أخيرا أن يجد فى هذا النظام وسيلة يستثمر بها موارد القوة الهائلة التى تملكها شعوبها أحسن ما يكون الاستثمار ، فإن المؤتمرات وما شاكلها لم تؤد ألبتة إلى بلوغ هذه الآمال ، ولا نستطيع القول إنها ستبلغ غايتها حتى بعد مدة طويلة من الزمن . . ولكن ينبغى ألا نبالغ فى تقدير طول هذه المدة ، لأن هناك ظاهرة كثيرا ما يهملها الباحثون فى حركات المجتمع الإسلامى مهما كان نوعها ، وهى أنها تنضج بسرعة مدهشة ، حتى أن وجودها ـ كما أشار الأستاذ ماسيون ـ يندر أن يخطر على بال أحد ـ قبل أن يندلع لهيبها ويروع العالم * » .

وينتهى جب إلى القول :

المسألة الكبرى هى مسألة الزعامة ، فحينما يجد الإسلام « صلاح الدين » الجديد ، رجلا يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة ، وبين شعور برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه ، فإن ما عدا ذلك يحل من تلقاء نفسه » .

● يقول الرمشادور ـ نقلا عن مجلة المعرفة ـ السنة الثانية :

« ومن يدرى ؟ قد يعود اليوم الذى يصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين ، فيهبطون من السماء لغزو العالم ثانيا فى الوقت المناسب أو الزمن الموقوت . لست أدعى النبوة . ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها » .

● فى حديث رجل فرنسى مع طلابه إبان الاحتلال الألمانى لفرنسا فى الحرب العالمية الثانية ـ منبها إياهم ، ومعزيا لهم عن الاحتلال الألمانى ، قال :

« إن الخطر الذى داهمهم من الألمان ، ليس هو الذى يخافه عليهم وعلى مستقبلهم ، وإنما الخطر الجدير بالخوف ، هو ما يمكن أن تأتى به هذه الشعوب التى تربض خلف البحر الأبيض المتوسط ، لأن خطرها هو الذى يهز الكيان ويزلزل الأركان » .

---

* ماسيون : عمل مستشارا للإدارة الاستعمارية للشئون الإسلامية .

● فى مقال للعلامة محب الدين الخطيب بمجلة المباحث *:

يقول مرماد يوباكئول : « إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى الدنيا الآن بنفس السرعة التى كانوا نشروها بها سابقا إذا رجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها ، حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم .

● ونقلا عن كتاب « التبشير والاستعمار » للأستاذين : د. عمر فروخ و د. الخالدى ، يصرخ أحد الألمان المستطلعين للأمور بقوله :

« إننى أخشى أن تتحول الجامعة العربية الوهمية الخالية الآن إلى جامعة حقيقية ، فتقع أوروبا فى خطر أعظم من الخطر الأصفر الذى كانوا يخافونه» .

ونحن من جانبنا ، نطمئن هذا الألمانى ، بأن لا خطر من الجامعة العربية ، فبعد ستة وخمسين عاما من إنشائها ، لا تزال مبنى لا معنى ، وقد حققت فكرة المستر إيدن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق فى السعى إلى إنشائها ، وفكرته تقوم على أساس أن العرب لكى يختلفوا لابد لهم من مائدة يجلسون حولها .. وكانت الجامعة العربية .

● وفى نفس المرجع السابق .. كان لورانس براون أكثر وضوحا وصراحة حين قال :

« لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذا الخوف » .

لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى ، والخطر الأصفر ، باليابان وتزعمها على الصين ـ وبالخطر البلشفى ، إلا أن هذا التخوف كله لم نجده كما تخيلناه لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . .ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا فى الحرب العالمية الثانية .

أما الشعوب الصفراء ، فإن هناك دولا ديمقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى المسلمين ، وفى قدرتهم على

---

* مجلة المباحث أوائل الخمسينات كان يصدرها الاستاذ صالح عشماوى ، والمباحث تحولت فيما بعد إلى « الدعوة » .

التوسع والإخضاع ، وفى احيوية المدهشة العنيفة التى يمتلكونها .. إلا أنهم هم السد الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى .

● أحد علماء جامعة السوربون ـ باريس ـ يقول فى أحد مؤلفاته :

« إن العالم فيه ثلاث قوى : قوة الشرق وقوة الغرب ، وهناك قوة ثالثة لو عرفت نفسها لأمكنها أن ترث القوتين ، وهذه القوة هى القوة الكامنة وراء يقظة المسلمين ، لأن لهم نظرة انفردوا بها عن العالم فى تنشئة الرجال » .

● جوستاف يونج : عرض فى مؤلف له ..الحساب الأخير الذى اقترب .. الحساب : الذى سيتولى القيام به العالم الإسلامى ضد أوروبا الاستعمارية ، والصهيونية التى تحاكيها ، يقول :

« إن العالم الإسلامى قد أفلت من قبضة الموت الذى أعده ونسق أكفانه الاستعمار الأوروبى ، وإن العالم الإسلامى يسرع الخطى إلى الشباب فيصفى حسابه مع الاستعمار الأوبى الصهيونى ، وهو حساب عسير رهيب ؟؟!! .

● وأخيراً وليس آخرا :

فهذا تفصيل حاسم ـ كما يقول الأستاذ جودت سعيد فى كتيبه « لم هذا الرعب كله من الإسلام » ؟ نختم به ما جاء على لسان مسئول فى وزارة خارجية فرنسا عام ١٩٥١م ، سجل كلماته المفكر العلامة مالك بن نبي فى مؤلفه : « من إيحاءات الفكرة الأفريسيوية » .

قال المسئول الفرنسى :

« ليست الشيوعية خطرا على أوروبا ـ كما يبدو لى ـ فهى حلقة لحلقات سابقة .. وإذا كان هناك خطر ، فهو خطر سياسى عسكرى فقط ، ولكنه ـ على أى حال ـ ليس خطرا حضاريا تتعرض معه مقومات وجودنا الفكرى والإنسانى للزوال والفناء .

« إن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفاً هو الخطر الإسلامى ، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربى ، فهم

يملكون تراثهم الروحى الخاص ، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، وهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب . وفرصتهم فى تحقيق أحلامهم هى فى اكتساب التقدم الصناعى الذى حرزه الغرب ، فإذا أصبح لهم علمهم ، وإذا تهيأت لهم لحساب الإنتاج الصناعى فى نطاقه الواسع ، انطلقوا فى العالم يحملون تراثهم الحضارى الغنى وانتشروا فى الأرض ، يزيلون منها قواعد الروح الغربية ، ويقدمون رسالتهم إلى متاحف التاريخ .

ثم يقول :

« وقد حاولنا خلال حكمنا الطويل فى الجزائر أن نتغلب على الشخصية التاريخية لشعب هذا البلد ، فلم نأل جهدا فى صوغ شخصية غربية له ، فكان الإخفاق الكامل نتائج مجهودنا الضخم الطويل .

نذكر بأن الاستعمار الفرنسى للجزائر (١٨٣٠م ـ ١٩٦٢ م) للعلم :

« إن العالم الإسلامى يقعد فوق ثروة خيالية من الذهب الأسود والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحديثة ، وهو فى حاجة إلى الاستقلال فى استغلال هذه الإمكانيات الضخمة الكامنة فى بطون سهوله وجباله ، وصحاريه .. فهو في عين التاريخ عملاق مقيد .. عملاق لم يكتشف نفسه بعد اكتشافا تاما .. فهو حائر وهو قلق ، وهو كاره لماضية فى عصر الانحطاط ، راغب رغبة يخالطها شئ من الكسل ـ أو بعبارة أخرى ـ من القرف ـ فى مستقبل أحسن وحرية أوفر .

« فلنعط هذا العالم مايشاء ، ولنقو فى نفسه الرغبة فى الإنتاج ، ولنصنع له ما يشاء من منجزات الصناعة الحديثة ، شرط أن نبتعد به عن الإنتاج الصناعى والفنى ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة ، وتحرر العملاق من قيود جهله ، وعقدة الشعور بعجزه عن مجاراة الغرب فى الإنتاج ، فقد بؤنا بالإخفاق الذريع ، وأصبح خطر العالم العربى ، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة ، خطرا داهما ، يتعرض به التراث الحضارى الغربى لكارثة تاريخية وينتهى بها الغرب ، وتنتهى معه وظيفته القيادية !!

هل هناك شك ـ أدنى شك ، فى أن مثل هذه التصريحات التى ذكرناها ـ

وما خفى كان اعظم ، لا تنطوى ـ وحسب ـ على حقد وحنق معا ، بل كذلك على استعداء أصحاب القرار فى الغرب ، أن يكونوا على حذر من الإسلام والمسلمين وتربص به إذا حانت فرصة من الفرص .

ولا تنس أن هذه التصريحات قيلت منذ زمن ، كان الإسلام فيه شبه غائب عن الوجود ، ولو شهد قائلوها هذه الآونة الأخيرة حيث الصحوة الإسلامية فرضت نفسها ، لجاءت تصريحاتهم تشجع على إعلان الحرب على العرب والمسلمين .

إن صراع الحضارات لم يتوقف ـ رضينا أم كرهنا ـ وهذا يقتضينا أن نعرف أعداءنا حق المعرفة ، وأن نكون مستعدين دائما لأن نرد عدوانهم ، ومن قيم العدالة التى أقرها الإسلام ، قوله تعالى :

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ .

صحيح أن التسامح قيمة سامية من قيم الإسلام ، بشرط أن يوضع التسامح فى موضعه ، لا أن يكون ذريعة لمن لا أهل له ، ولا من ليس جديرا به ، لكى يستخف بنا ، وفى قصة أبى عزة الشاعر توجيه لنا ، ففى غزوة بدر كان أبو عزة فى صفوف المشركين بشعره ، ووقع فى الأسر ، وعندما وقف بين يدى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهو فى تخاذل ، طلب العفو وأعلن التوبة ، فعفا عنه ، ولكنه عاد فى غزوة أحد ناكصا وعده ، وشاء حظه أن يقع أسيرا ، وأوقف بين يدى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى تخاذل ، وقبل أن يهم بالكلام بادره الرسول بقوله :

« لا تهزز عارضيك .. بمكة تقول : سخرت من محمد مرتين .. ألا لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

وأمر بضرب عنقه ! .

وما أروع ما قاله الأستاذ العقاد عن هذه التصريحات :

« وليس هذا الاهتمام مما يخفى على الباحث العادى ، بل يظهر بأدنى تأمل فى صور متعددة ، منها ما يتلبس بالحذر المتطور إلى الخوف والرعب ومنها الشامت المغير ، ومنها المغرى بالإغارة أو الإلهاء » .

ولا يمكن أن ننسى خبيراً بأساليب الغرب لأنه أوروبى الجنسية هداه الله إلى الإسلام ـ فأسلم وحسن إسلامه ، هو ليوبولد فاس ـ سلفا ، ثم محمد أسد بعد إسلامه ، مؤلف « الطريق إلى مكة » وكان ذا دراية واسعة بأساليب الغرب الخبيثة فى محاربة الإسلام والمسلمين .

يرى هذا المفكر أن هذه المواقف العدائية المختلفة التى يقفها الغربيون ، وهى غير مطمئنة ـ بالطبع ـ سببها برغم أنهم عرفوا ـ ولو شعوريا ـ أن الفكر الإسلامى ، هو الفكر الكفء الرزين الذى يمكن أن يقف أمام الفكر المعاصر ، وينزله منزلته الصحيحة من غير محاباة ولا ظلم ، فلا يعطيه أكثر مما لا يستحق ، ولا يبخسه حقه .

فى مؤلف المفكر الإسلامى ـ محمد أسد ـ « الإسلام على مفترق الطرق » عرض لسمات رجل الحضارة الأوروبى ، ومفاهيمه ، ومن مفاهيم هذا الرجل .. أن العدل والحق والكرامة ، ليست من حقوق الإنسان ، لأنه إنسان ، بل لأنه يحمل سلاحا ويعطى له الحق ، لأنه يستطيع أن يأخذه بقوته إن لم يعطه ، فهذا المفهوم المتسلط على رجل الحضارة الأوروبى ، يجعله يرتعب جدا ، لأنه يشعر أنه سيفقد الكرامة والعدل والحق ، إذا ملك غيره مثلما يملك هو أو أكثر .

ويضيف :

إن رجل الحضارة الأوروبى لم ينس تاريخه ، فهو يعرف كيف عامل الناس كأنه مروض وحوش منذ ثلاثة قرون .. فهذا الإنسان لم يعد سويا ، لأنه نتاج حضارة غير سوية ، فهو لا يمكن أن يتصور العيش إلا قويا ظالما أو ضعيفا مظلوما لأن فلسفته الحضارية كذلك وكذلك فهم تنازع البقاء ، وهكذا عاش ولا يزال يعيش ! .

وماذا عن هؤلاء المرجفين :

أعنى بالمرجفين : هؤلاء الذين ينكرون فكرة « الحرب الصليبية » يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، فى حقيقة لا تحتمل الجدل إلا من سفيه هو أهل للحجر عليه ، وقد بلغ بهم الشطط درجة مثيرة للسخرية ، فأنكروا صفة .. الصليبية للحروب السالفة فى القرون

الوسطى، برغم أن الذين أشعلوا نارها لم ينفوا عنها هذه الصفة ، وكيف ينفونها ، وبابا الكنيسة كان مؤيدا ومؤازرا لها وباركها ، وبارك قادتها من الملوك وعلى صدره الصليب ؟؟ .

إن هؤلاء المرجفين إما إنهم لم يقرأوا التاريخ ، وإما إنهم قرأوه وأنكروه، فاللورد البريطانى الاستعمارى « إللنبى » حين دخل المقدس ، ودنست قدماه الأرض الطاهرة فى ٩ / ١٢ / ١٩١٧م أثناء الحرب العالمية الأولى صرح بقوله مجترا كل أحقاده :

« الآن انتهت الحروب الصليبية »

وإثر موقعة ميسلون ـ دمشق ـ فى ٢٤ / ٧ / ١٩٢٠م ، اتجه الجنرال الفرنسى الوقح « غوره » إلى قبر صلاح الدين وركله بحذائه ، وقال : « قم يا صلاح الدين الآن ها نحن قد حضرنا » ! .

وهذا السياسى البريطانى الاستعمارى غلادسون زعيم حزب الأحرار ، يصف خليفة المسلمين فى أواخر القرن التاسع عشر بأنه شيطان وعدو للمسيح، ويصرح فى مجلس العموم البريطانى ، بقوله مجترا كل أحقاده أيضا :

« ما دام هذا القرآن الذى يحمله المسلمون موجودا ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون أوروبا نفسها فى أمان » .

ولم يقرأ هؤلاء المرجفون أن شابا إيطاليا كان يتهيأ للسفر إلى ليبيا أيام غزو إيطاليا لها عام ١٩١١م يردد مع أقرانه هذا النشيد :

يا أماه :

« أتمى صلاتك .. أتمى صلاتك . ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى .. ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى ـ وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمى فى سحق الأمة الملعونة .. ولأحارب الديانة الإسلامية التى تجيز البنات الأبكار للسلطان .. ؟؟

سأقاتل بكل قوتى لمحو القرآن ..

أماه :

لا تموتى لأننا فى طريق الحياة .

وإن لم أرجع فلا تبكى على ولدك .. ولكن اذهبى فى كل مساء وزورى المقبرة ، ونسائم الأصيل تحمل إلى طرابلس وداعك الذى يأبى الحداد على فلذة كبدك .. وإذا سألك أحد عن عدم حدادك على .. فأجيبيه :

« إنه مات فى محاربة الإسلام » * .

هل ساور أحد أدنى ريب فى أن الشباب الأوروبى ورث أحقاد الحروب الصليبية عن أسلافه ، يتآكل الحقد الأسود فى نفوسه ، وبعد مضى عدة قرون من الزمان ؟؟

وهل يمكن أن يتسرب ـ ولو قليلا من الحياء ـ إلى نفوس هؤلاء المرجفين ؟ لا أظن . لأن إصرارهم على أن يجردوا الحرب الصليبية من وصفها بل ودافعها ، يصرون كذلك على عزل الدين عن الحياة وسيلة أو غاية ، ويقلقهم أن يكون الإسلام نظام حياة ، يحول بينهم وبين شهواتهم ومطامعهم ، ثم نزعات الشر فيهم ، واستبدادهم إن كانوا من أهل السلطة.

وأخيراً وليس آخراً :

فإن من حقنا أن لا نقيم وزنا للأقلام العلمانية المهترئة التى تحاول جاهدة ـ لكى تلفت النظر إليها ـ أن تنكر فكرة الحرب الصليبية التى تشنها أمريكا وحلفاؤها على دولة مسلمة بتعلة الإرهاب ، وإرضاء لعيون آل صهيون .

وليس مثيرا للدهشة أن بعض الحكام العرب ينسج على منوال أولئك الأفاقين من العلمانيين وفلول آل ماركس ، هذا البعض الذى يضيق بالإسلام ، يزعم أن الحروب الصليبية فى القرون الوسطى . لم تكن دينية ، برغم أن الكنيسة كانت المحرض والمؤيد لشنها . وكان الهدف هو الاستيلاء على بيت المقدس .

ورحم الله الشاعر المتنبى :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

---

* الاسلام حائر بين أهله : المهدى إلى روح الشهيد الخالد حسن البنا للمؤلف .

مومس وقحة كتبت على باب دارها : « ادخلوها بسلام آمنين »